جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بدسوق

مجلة الدراية
https://drya.journals.ekb.eg
drya.journal@gmail.com

مجلة الدراية
مجلـة علمية محكمة ربـع سنوية

العدد الحادي والثلاثون [إبريل ٢٠٢٦م]

آيات خلق الإنسان بين التراث التفسيري والعلم الحديث وكتابات المستشرقين

(دراسة تفسيرية مقارنة).

الدكتور / حسام صلاح داود
المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بطنطا
-جامعة الأزهر

آيات خلق الإنسان بين التراث التفسيري والعلم الحديث وكتابات المستشرقين(دراسة تفسيرية مقارنة)

حسام صلاح داود.
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين بطنطا، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: HossamSalah.el.42@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى محاولة الكشف عن قضية خلق الإنسان كما عرضها القرآن الكريم في كثير من الآيات وبيان الإعجاز في ذلك، مع تتبع المواد التي ذكرها القرآن الكريم لأصل الخلق وفق رؤية متماسكة تكشف عن ربانية مصدر القرآن الكريم، والقيام بتتبع للتراث التفسيري قديمًا وحديثًا وطريقته في فهم تلك الآيات من خلال سياقات الآيات ودلالات اللغة والواقع العلمي المناظر، ثم استطلاع الحقائق العلمية التي كشفها العلم الحديث، وأكد بها صدق الخبر القرآني المعجز، ثم النظر إلى الدراسات الاستشراقية وموقفها حيال تلك القضية، من خلال المنشغلين بدراسات القرآن الكريم من المستشرقين وغيرهم ممن علق على تلك الآيات، وقد استخدم البحث منهج الاستقراء بالتوازي مع المنهج النقدي في التحليل والعرض للقضية محور الدراسة، وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج من أهمها: عمق الفهم التراثي لآيات القرآن الكريم حيال تلك القضية، والتعبير عنها بطريقة منضبطة الدلالة متسعة المعني بما يكشف عن إعجاز القرآن الكريم، بينما يتسم المنهج الاستشراقي بالجهل في الطرح، أو التجاهل المتعمد، أو الفهم الفاسد لمجمل قضية الإعجاز عامة، ولآيات الخلق خاصة متأثرًا بالواقع الكتابي الذي تأثر بدوره بالمحيط التاريخي الأسطوري، والتراث الأدبي المعاصر له.

الكلمات المفتاحية: التفسير، الاستشراق، الإعجاز، الخلق، آدم، طين، القرآن، الترجمة.

The creation of man is based on interpretive heritage, modern science, and the writings of orientalists.

Hossam Salah Dawood.

Department of Tafsir and Qur'anic Sciences- Faculty of Fundamentals of Religion, Tanta, Al-Azhar University, Egypt.

Email: HossamSalah.el.42@azhar.edu.eg

Abstract:

The research aims to uncover the miraculous aspects of the issue of human creation, as presented in the Holy Quran in numerous verses. It examines the Quranic sources for the origin of creation, based on a coherent vision that reveals the divine nature of the Quranic source. It also examines the historical and modern interpretations and their methods for understanding these verses. It then examines Orientalist studies and their positions on this issue, including those of Quran translators and others. The research utilizes the inductive approach, along with the critical approach to analysis and presentation. The research concludes with a set of results, the most important of which is the depth of the traditional understanding of the Quranic verses on this issue, and their expression in a precise, meaningful, and broad sense, revealing the miraculous nature of the Quran. The Orientalist approach, on the other hand, is characterized by ignorance in its presentation, deliberate disregard, or a flawed understanding of the entire issue of the miraculous in general, and of the verses of creation in particular, influenced by biblical reality.

Keywords: Interpretation , Orientalism , Miracle , Creation , Adam , Clay ,Quran , Translation.

بسم الله الرحمن الرحيم.

مقــدمـــــة

الحمد لله الذي أنعم على عباده بالقرآن، وبلغهم باتباعه جنة الرضوان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان–ﷺ–، أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو المعجزة العظمى، والآية الكبرى، وتدبره حتم على كل مسلمٍ، وإماطة اللثام عن إعجازه واجب على كل مشتغلٍ به، ودرء شبهات الخائضين وأوهام المشككين لازمٌ لكل قادر عليه ممسك بزمام دقائق معانيه مُحكِمٍ لفهمه، وقد حوى القرآن الكريم آياتٍ ارتقت على علوم عصرها يقينًا، وتناولت إشارات لغيب ذي صلة بموضوعاتٍ شغلت العلم الطبيعي في مسيرته منذ القدم حتى المعاصرة، وقد وقف التراث التفسيري من هذه الآيات موقف المتأمل في حدود علمِ كلِ مفسرٍ دون ما تعسفٍ أو تنطعٍ، فجلى بذلك ارتباط القرآن الكريم بالعلم وإشاراته المرتبطة بالتوحيد إلى دلائل الإعجاز والقدرة، بينما وقفت طائفة من المتعالمين المسمَين بالمستشرقين حيال القرآن الكريم بمجمله موقف المتشكك، بل الطاعن بالباطل فيه إما بتهمة الاقتباس أو السذاجة في الطرح أو قلة علم كاتبه– بزعمهم–.

من هنا، ولتلك الأسباب أحببتُ أن أسلط الضوء على قضية تتعلق بالموضوعية التي يدعيها الباحثون في كافة المجالات، والتي يعبر تراثنا عنها بالتجرد للحق، والإخلاص في طلبه، وهذه القضية هي: آيات خلق الإنسان وكيف فهمهما التراث التفسيري مُسلحًا بالإيمان والإخلاص أولًا، ثم العقل المساير لتطور العلم التجريبي ثانيًا، مقارنةً مع كتابات المستشرقين المسلحين بالتراث الكتابي الثري بالأساطير والأغاليط أولًا، ثم العقل المساير لعلومٍ فاقت ما وصل إليه أهل الإسلام ثانيًا، فجاء هذا البحث تحت عنوان: **(آيات خلق الإنسان بين التراث التفسيري والعلم الحديث وكتابات المستشرقين– دراسة تفسيرية مقارنة)** وإضافة إلى ما سبق فإن من**أسباب**

اختيار هذا الموضوع: محاولة إظهار وجهٍ من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وكشفه السابق لكافة العلوم عن حقائق الخلق، وإبراز الترابط البديع والتماسك البين في تناول القرآن الكريم لقضاياه الكبرى، والكشف عن ثراء التفاسير القرآنية وعمق فهمها لدلالات الألفاظ القرآنية، وتسليط الضوء على واقع المنهج الاستشراقي في التعامل مع القرآن الكريم، ومدى تجاهله لمقومات الإيمان بالقرآن الكريم، وتشكيكه في اليقينيات، واعتماده مناهج الانتقاء والتركيز المعيب.

وتبرز **أهمية الموضوع** من خلال تناول قضية معاصرة تدعي كافة الأديان والفلسفات الإمساك بزمامها، إضافة إلى كثرة الهنات بين المشتغلين بالعلم الطبيعي في محاولة التوفيق بين الإسلام ونظريات العلم الحديث، رغم ثراء الدلالات القرآنية ودقة ألفاظها ووجوب كونها المرجع حين التنازع في تلك القضية، مع الحذر من تحميلها فوق مقصودها وغرضها الهدائي.

منهج البحث :اقتضت طبيعة البحث تناول قضيته عبر منهج الاستقراء القائم على تتبع قضايا جزئية للوصول إلى قضية كلية(١)، ثم المنهج التحليلي القائم على دراسة الإشكاليات العلمية المختلفة تفكيكاً، وتفسيرًا، وتركيبًا، استنباطًا،وتقويمًا، ونقدًا"(٢).

خطوات البحث الإجرائية:قام البحث بتتبع آيات القرآن التي تناولت مادة الخلق البشري الأول، ثم الآيات الجامعة لمراحل الخلق مبرزًا دلالاتها وفق فهم المفسرين في القديم والحديث(٣)، ثم ألقى الضوء على نظرة العلم

---

(١) ينظر: مناهج البحث العلمي وضوابطه(صـ ٧٤)؛ البحث العلمي: (١٧٩/١).

(٢) ينظر: أبجديات البحث في العلوم الشرعية (ص ٩٦-٩٧) .

(٣) تعرض الآيات حسب الترتيب المصحفي إذا كان المدلول واحدًا، وفي حين آخر ترتب الآيات حسب أولية المادة التي يتكون منها الخلق.

الحديث لهذه الآيات، ثم تتبــع مقولات المستشرقين في فهم تلك الآيات، وبين موقفهم منها، مع التقيد بأدبيات البحث العلمي، من حيث العزو بالإشارة إلى اسم المرجع مختصرًا في الحاشية، مكتفيًا بالتوثيق الكامل في قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث، وتخريج الآيات في المتن، وتخريج الأحاديث من مظانها، والتعليق على ما يُحتاج إليه في حاشية الصفحة، ثم تذييل البحث بخاتمة بها نتائج البحث وتوصياته، تتلوها قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث، ثم فهرس الموضوعات.

الدراسات السابقة: سبقت بدراسات عدة تناولت قضية الخلق في القرآن الكريم،وأقربها إلى بحثي مما اطلعت عليه:

-خلق الإنسان في القرآن الكريم (دراسة وصفية) د/ إلهام البعداني(١).

-مراحل خلق الإنسان في آيات القرآن الكريم: د/ منى عبد الرازق(٢).

-نظرية خلق الإنسان في القرآن: (دراسة مقارنة)د/نسيبة عبدالرحيم(٣).

-خلق الإنسان في القرآن: د/ محمد محمد خليفة(٤).

-خلق الإنسان في القرآن الكريم: د/قريب الله عمر محمد(٥).

- التفسير العلمي لآيات خلق الإنسان عند الإمامين الفخر الرازي وابن كثير من خلال تفسيريهما: دراسة وصفية تحليلية: د/ رمزي محمد أبوبكر(٦).

---

(١) رسالة دكتوراة من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، بإشراف أ.د/ عمر بن يوسف، جامعة أم درمان، السودان، ٢٠١٥م.

(٢) رسالة ماجيستير من جامعة النجاح الوطنية، بإشراف أ.د/ محسن سميح، فلسطين، نابلس ٢٠٠٣م.

(٣) بحث ضمن مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، العدد٢٥، السودان، يوليو ٢٠١٤م. مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، ع٢٥

(٤) بحث منشور ضمن مجلة الأزهر المجلد ٥٣ ، الجزء الثاني، نشر مجمع البحوث الإسلامية، عام ١٩٨١م.

(٥) رسالة ماجيستير من جامعة أم درمان الإسلامية، بإشراف: محمد إبراهيم، السودان ٢٠٠٢م.

(٦)رسالة ماجيستير من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، بإشراف أ.د/ فيصل الطاهر خلف الله، جامعة أم درمان، السودان، ٢٠١٧م.

وقد عنيت الدراسات السابقة وغيرها بقضية خلق الإنسان كما وردت بالقرآن الكريم من خلال منظور تفسيري أو عقدي دون التركيز على المنظور الاستشراقي وبيان موقفه من تلك الآيات وما بها من إشارات للإعجاز القرآني.

أسئلة البحث: يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التالية: مامراحل تطور خلق الإنسان كما عرضها القرآن الكريم؟ وكيف تناول المفسرون تلك المراحل؟ وما الحقائق العلمية المرتبطة بتلك المراحل كما كشفها العلم الحديث؟ وما علاقة ذلك بإعجاز القرآن الكريم؟ وكيف فهم الاستشراق تلك الآيات وما موقفه منها؟ وما دلالات ذلك الموقف؟

الهدف من البحث: يهدف البحث إلى بيان معنى الإعجاز العلمي وما المقبول منه وما المردود؟ وبيان جانب من إعجاز القرآن الكريم في آيات خلق الإنسان، وتسليط الضوء على فهم المفسرين لآيات الخلق في القرآن الكريم، ومدى موافقته لحقائق العلم الحديث، وإبراز موقف الاستشراق من هذه الآيات .

خطة البحث: جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، تتبعها خاتمة.

- المقدمة: وفيها: أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، ومنهج البحث، وخطواته الإجرائية، والدراسات السابقة، وأسئلة البحث، والهدف منه، وخطته.
- التمهيد: أولًا: حول الإعجاز العلمي.
- ثانيًا: الاستشراق. تعريفه. أهدافه. وسائله.
- المبحث الأول: آيات خلق الإنسان عند المفسرين، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: آيات خلق آدم(من تراب) و(من طين) .
- المطلب الثاني: أوصاف الطين في القرآن الكريم.
- المطلب الثالث: الآيات الجامعة لمراحل الخلق.

- المبحث الثاني: آيات خلق الإنسانفي ضوء العلم الحديث ومظهر الإعجاز فيها.
- المبحث الثالث: آيات خلق الإنسان عند المستشرقين.
- الخاتمة: وتتضمن نتائج البحث، ثم فهرس أهم المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

التمـهيد.

لما كانت المحور الأساس لهذا البحث هي قضية الخلق قرآنيًا من منظور تفسيري علمي إسلامي مقارنًا بالمنظور الاستشراقي لزم الإشارة إلى الموقف من إيماءات القرآن الكريم الكونية والعلمية وفق ما سمي "الإعجاز العلمي" مع تقديم التعريف الموجز بالمستشرقين وشيء مما يتعلق بهم، فنقول:

❖ **أولًا: حول الإعجاز العلمي:**

اشتقت المعجزة من مادة (ع ج ز) التي تدور معانيها في اللغة حول الضعف وعدم القدرة والتأخر عن فعل الشيء، ومن ثَم اشتق منها صيغة التفعيل(تعجيز) للدلالة على: "التثبيط، والنسبة إلى العجز، قالوا: ومعجزة النبي –صلى الله عليه وسلم– يُقصد بها: ما أعجز به الخصم عند التحدي"(١).

وفي الاصطلاح تطلق المعجزة على: "أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة، يظهره الله على يد رسله"(٢).

ومن هنا فقد اشترط العلماء للمعجزة شروطا منها: أن تكون من فعل الله أو ما يقوم مقامه من المتروك، وإنما اشترط ذلك؛ لأن التصديق من الله تعالى لا يحصل بما ليس من قِبله، وأن يكون المعجز خارقا للعادة، وأن يتعذر معارضته، وأن يكون ظاهرًا على يد مدعي النبوة، وأن يكون موافقا للدعوى، وألا يكون ما ادعاه وأظهره من المعجزة مكذبا له، وألا يكون المعجز متقدمًا على الدعوى بل مقارنًا لها"(٣).

---

(١) ينظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي: (ص: ٤٦٤) مادة (ع ج ز).
(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: (٢/ ١١٦).
(٣) ينظر: المواقف للإيجي: (٣/ ٣٣٨– ٣٤١).

ويجدر التنبيه أن ثمة فرقًا بين المعجزة والإعجاز، فالأولى تعم كل خرق للعادة يشذ عن نواميس الكون ولا يمكن تفسيره بالمعهود الطبعي، أما الإعجاز فهو إظهار العجز عن المماثل، أو هو: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، وقد جمع القرآن هذين الوصفين فهو من حيث نصه إعجاز، ومن حيث دلالته على صدق النبي –صلى الله عليه وسلم– وتحدي العرب به فهو معجزة خالدة"[١].

وقد عد العلماء وجوها عدة لإعجاز القرآن الكريم؛ أبرزها البلاغي، ثم الغيبي، والتشريعي، والتأثيري، والعلمي وغيرها مما يكون محل أخذ ورد بين العلماء في أصله وفرعه.وما يُعنى به هذا البحث ما اصطلح على تسميته بالإعجاز العلمي ونعني به– هاهنا–: "مطابقة معانٍ كثيرة ومتوافرة صريحة في دلالتها لحقائق علمية غير معلومة زمن التنزيل ولا تدرك إلا بالتجربة أو وسائل مادية لتثبت صدق الرسالة التي جاء بها النبي –صلى الله عليه وسلم– من عند الله"[٢].

وإنما قدمت بهذا التعريف حصرًا للمعنى المقصود من التفسير العلمي أو الإعجاز العلمي[٣]، فليس منه دعوى مطابقة القرآن الكريم لما شاع من

---

(١) ينظر: مناهل العرفان: (٢/ ٣٣١)؛ و: دراسات حول القرآن: إسماعيل الطحان: (ص:١٣٢).

(٢) ينظر: إعجاز القرآن فيما تخفيه الأرحام: (ص:١٧).

(٣) فرق البعض بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي فقالوا: التفسير العلمى: التفسير الذى يُحَكِّم الاصطلاحات العلمية فى عبارات القرآن، ويجتهد فى استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها.أما الإعجاز العلمي فهو: تأكيد الكشوف العلمية الحديثة الثابتة والمستقرة للحقائق الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بأدلة تفيد القطع واليقين باتفاق المتخصصين. **ووجهتهم**: أن التفسير لا يشترط فيه التحقق من القضية العلمية؛ إذ هو مجرد اجتهاد في البيان عن المعنى، فإذا ثبتت التحقق صار إعجازًا، والأولى أن لا يخاض في معاني القرآن الكريم ظاهرًا وباطنا إلا بحقيقة ثابتة صونًا لحرم القرآن العظيم وصيانة أن يُقال في مراد الله بغير علم. ويتبنى البحث وجهة التسوية بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي؛ وذلك أن الكشف عن معنى الآيات في ضوء الحقائق العلمية – وهو التفسير– هو عينه إظهار معجزة القرآن الكريم في إخباره عن هذا الأمر منذ بضعة عشر قرنا في =

نظريات علمية لم تثبت صحتها، أو صدر مخالفا لقواعد العربية التي نزل بها القرآن الكريم، أو ممن لا حظ وافرًا له في علوم الشريعة، بل صناعته العلوم التجريبية فحسب، أو كان القائم به مغموصَ الدين، فاسد العقيدة، يعتمد العقل ونتائج العلم التجريبي أصلا يحاكم به القرآن الكريم ويؤوله ليوافقهما.

وقد كان هذا اللون محل أخذ ورد بين العلماء منذ قديم؛ فالغزالي– ومن نحا نحوه–[١] يرى أن القرآن بحر ينطوي على نفائس العلوم لمن غاص فيه، والفخر الرازي[٢] يرى أن القرآن جاء لتقرير التوحيد ومن أسس ترسيخه في النفوس: المحاجة بضروب العلوم وقضايا الكون وأحواله، ومن ثم فقد توسع– رحمه الله– في تفسيره في ذلك، والزركشي[٣] يرى أن هذه الإشارات للعلوم تخص الخواص فأوغل في ربط معاني القرآن الكريم بالحساب والفلك وغيرهما، والسيوطي[٤]على الأثر، وبالأثر يؤكد على قيمة هذا النوع من التفسير ليجد فيه كل طالب معجزة ما يصبو إليه في فنه.

=

بيئة لا يجهل مقدار علومها ومعارفها في هذا الشأن. ينظر في ذلك: التفسير والمفسرون للذهبي: (٢/٣٤٩)؛ و: دراسات في علوم القرآن الكريم لفهد الرومي: (ص:٢٩٥)؛ و: الآيات الكونية دراسة عقدية لعبد المجيد الوعلان:(ص:١٢٩)؛ و: الفرق بين الإعجاز العلمي والتفسير العلمي: رابطة العالم الإسلامي: (ص:٥٩). مجلة الإعجاز العلمي / هيئة الإعجاز العلمي – رابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة ١٤٠ يوليو ١٩٩٥ م مقال الدكتور عبد المجيد الزنداني بعنوان الإعجاز العلمي تأصيلاً وفهماً ص ١٣ .

(١) ينظر: جواهر القرآن للغزالي : (ص: ٢٣).

(٢) ينظر: التفسير الكبير للرازي:(١٤/ ٢٧٨).

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي:(٢/ ١٥٣).

(٤) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: (٢/ ٢٣٠ . ٢٣١).

وفي العصر الحديث بالغ الإمام محمد عبده[١] في التأثر بمنجزات العلم الغربي منزلا إياها على آيات القرآن الكريم، وتابعه الكواكبي[٢] وأكثَرَ في ذلك، والجواهري[٣] فأغرب وأبعد النجعة، واعتدل بعضهم محاولًا التقيد بالرجوع إلى أهل العلم التجريبي للتثبت من حقائق العلم قبل فهم معاني الآيات في ضوئها كالمراغي[٤]- رحمه الله- وغيره.

بينما رفض هذا اللون التفسيري من القدامى الإمام الشاطبي[٥]متأثرًا بمبالغة المبالغين، ومقوما لتوسعهم بلا ضابط، مبرزًا ما ينبني على قولهم من لوازم فاسدة تذهب بحرم القرآن الكريم، ثم من المعاصرين الشيخ الزرقاني[٦]، والشيخ رشيد رضا الذي خالف شيخه في هذه المسألة[٧]، ثم الإمام الشيخ محمود شلتوت الذي خطأ المنبهرين بهذا اللون مبينا أنه يفضي بهم إلى صور من التفكير لا يريدها القرآن الكريم[٨].

ولكل وجهة ما استدلت بها لدعواها[٩] وليس هذا مجال الاستطراد بذكرها، والحق الذي لا مرية فيه أن القرآن الكريم قرر حقائق علمية لا مجال لدفعها، خاصة وقد أثبت العلم الحديث صحتها، فلا ضير في كونها جزءًا مرادًا من تفسير الآيات بالتبع لا بالأصالة.

---

(١) ينظر: تفسير جزء عمّ، للإمام محمد عبده: (ص ٣٠).
(٢) ينظر: طبائع الاستبداد للكواكبي:(ص ٤٧).
(٣) ينظر: الجواهر في تفسير القرآن لطنطاوي جوهري:(١/ ٣).
(٤) ينظر: تفسير المراغي: (٢٣/ ١٠ . ١١).
(٥) ينظر: الموافقات للشاطبي:(٢/٣٩٠).
(٦) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني:(٢/ ٢٥٧ . ٢٥٨).
(٧) ينظر: تفسير المنار للشيخ رشيد رضا: (١/ ٧).
(٨) ينظر: تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأول) للشيخ محمود شلتوت:(ص ١١).
(٩) للمزيد عن أدلة الفريقين ومناقشتها ينظر: التفسير والمفسرون:(٢/٣٤٩-٣٦٢).

ثانيا: الاستشراق:(تعريفه. ونشأته، ودوافعه،ووسائله):

يُعَدُ الاستشراق أبرز وسائل الغزو الفكري لما ينطوي عليه من دعوى الموضوعية وتحرى الحقائق، وما هو في الحقيقة إلا وسيلة لتعزيز اليقين في نفوس الغرب بصحة معتقدهم، وتعميق التشكيك بمصادر الإسلام.

تعريفه:اشتقت كلمة استشراق من مادة (ش ر ق)بزيادة الهمزة والسين والتاء لتعطي معنى الطلب؛ فالكلمة لغويًا تعني: طلب ما يتصل بالشرق من كافة جوانبه(١)، ولقد تعددت تعريفات الاستشراق وأبرزها، ما عرفه به د. غراب حيث قال: "هو دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من أهل الكتاب بوجه خاص للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخًا ونُظُمًا وثروات وإمكانيات؛ بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تسويغ هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"(٢).

۞ **نشأة الاستشراق ودوافعه**:يعد الاستشراق في الحقيقة امتدادًا للحروب الصليبية ضدّ الإسلام"(٣)، ويسود جدل كبير في الأوساط العلمية حول جذور نشوء الاستشراق، فيبالغ البعض ويرجع أصوله بمعناه العام إلى زمن النبي –صلى الله عليه وسلم–، وما فعله اليهود من محاولات دائبة لصرف المسلمين عن دينهم(٤) يعنون بذلك اتحاد الوسائل المستخدمة وتشابه طرق الصدام والمواجهة، ويُرجع بعضهم بدايته إلى بعض الرهبان الأندلسيين"(٥) .

(١) ينظر: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل: إسماعيل علي محمد.(ص١١).
(٢) ينظر: الاستشراق رؤية إسلامية: أحمد عبد الحميد غراب.(ص ٧).
(٣) ينظر: الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام: عبد المنعم حسنين.(ص٨٠).
(٤) ينظر: الاستشراق وموقفه من السنة النبوية : فالح الصغير.(ص١١).
(٥) ينظر: الاستشراق والمُسْتَشْرِقُونَ ما لهم وما عليهم: مصطفى السباعي.(ص١٨).

ولا يعرف باليقين من هو أول غربي عُني بالدراسات الشرقية، إلا أن معظم المحققين لهذه المسألة يكادون يجمعون على أن بداية هذه الحركة نشأت في نهاية القرن العاشر الميلادي، وأوائل القرن الحادي عشر بفرنسا،حيث قام الفرنسي دي أورلياك بقيادة حركة الاستشراق بعد تعلم علوم الإسلام في الأندلس، ثم توليه منصب الحبر الأعظم بروما باسم البابا سلفستر الثاني(٩٩٩-١٠٠٣م)[(١)]، وبهذا يظهر الرابط بين الاستشراق والكنيسة، إذ كانت أول طلائع المستشرقين من عظماء النصارى(البابوات)، وعلى الرغم من الدافع العلمي لأورلياك إلا أن حركته تلك كانت تهدف إلى السطو على حضارة الغالب(المسلمين)، والأخذ بأسباب إضعافه"[(٢)].

وحين أسقط ألفونس السادس[(٣)]قرطبة ١٠٨٥م أصبحت دررها العلمية وكنوزها الثقافية رافدًا لتغذية الفكر الاستشراقي الذي حمل عبء إنهاض الغرب من سُباته عبر حقنه بعلوم الشرق العربية[(٤)].

ثم جاء بعد ذلك "قسطنطين الأفريقي[(٥)] التونسي فترجم التراث العربي العربي إلى اللاتينية ناسبًا مترجماته لنفسه[(١)]، وعلى الرغم من ذلك يؤرخ

---

(١) ينظر: الاستشراق والتبشير: محمد السيد الجليند.(ص١٤).وجريير دي أورلياك: ولد سنة ٩٣٠م، وهو البابا الوحيد- في زمنه- الذي تعلم العربية وأتقن العلوم العربية حيث تتلمذ في الأندلس، تولى منصب البابوية في روما سنة ٩٩٩م توفي سنة ١٠٠٣م. ينظر: موسوعة المستشرقين: (ص١٧٨).

(٢) ينظر: الاستشراق وتغريب العقل التاريخي: (١/١٣٧)؛ و: الاستشراق والتبشير: (ص١٤).

(٣) هو: ألفونس السادس ابن فرديناند الأول، حاكم قشتالة، ولد سنة ١٠٣٠ م، وتولى الملك سنة ١٠٦٥م، واحتل طليطلة، واتخذها عاصمة له سنة ١٠٨٥م، وانهزم في وقعة الزلاقة، ثم في وقعة أقليش توفي سنة ١١٠٩ م، وكانت العرب تسميه (الأذفونش قره كند، ملك الإفرنج بالأندلس). ينظر: الأعلام: (٦/١٨١).

(٤) ينظر: الاستشراق بين الموضوعية والافتعاليه : قاسم السامرائي.(ص١٩).

(٥) هو: قسطنطين الإفريقي طبيب مسلم ولد بقرطاجنة وسافر إلى خراسان ومصر وبغداد والشام ولما عاد إلى تونس وقع أسيرًا، ثم تنصر ودرس الطب في سالرنه وترهب في دير مونتي كاسينو، ترجم إلى اللاتينية بعض المؤلفات العربية وخاصة الطبية، توفي في حدود سنة ١٠٨٧م. ينظر: المستشرقون: (ص١٢١).

الغرب لبدء الاستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع فيينا الكنسي ١٣١٢م بإنشاء كراسي اللغة العربية واللغات الشرقية في الجامعات الأوربية"[٢].وأياما كان الأمر فقد نشأ الاستشراق لدافع ديني مضاد للإسلام يهدف لتشويهه وإضعافه.

✪ **أدوات الاستشراق**:استخدم المستشرقون ضروبًا من الحيل والأدوات في محاولاتهم المستمرة لتحقيق أهدافهم، ومن أهمها:تأليف الكتب[٣]، والمؤتمرات الاستشراقية[٤]،وإرساليات التنصير (التبشير)[٥]،وكراسي اللغة العربية بالجامعات الأوربية[٦]،وعضوية المجامع اللغوية[٧]،وإنشاء الجمعيات الاستشراقية[٨]، وإصدار المجلات والمطبوعات[٩]،وإلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية[١].

=

(١) ينظر: الاستشراق وتغريب العقل التاريخي: (١/١٣٨).

(٢) ينظر: الاستشراق: إدوارد سعيد.(ص ٩٠).

(٣) مثل موسوعة"دائرة المعارف الإسلامية (The Encyclopedia of Islam) بعدة لغات وقد ملئت بالأباطيل عن الإسلام وما يتعلق به،ولا ينكر أنهم ببعض مؤلفاتهم قدموا للمكتبة الإسلامية خدمات جليلة- بلا قصد منهم- كان من أعظمها " المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف" الذي اعتنى به المستشرق فنسك ومعه مستشرقون آخرون.ينظر: الاستشراق و المستشرقون ما لهم وما عليهم: (ص٣٦)؛ و:الاستشراق بين الحقيقة والتضليل: (ص٨٢).

(٤) عقد المؤتمر الاستشراقي الأول في جامعة السربون بفرنسا في ١ سبتمبر ١٨٧٣م برئاسة روسني وبلغ عدد المشاركين في المؤتمر ٤٥٠ باحثاً، وقد استمر انعقاد المؤتمر أحد عشر يوماً متواصلة، وبلغ عدد جلساته ٢١ جلسة. ينظر: مؤتمرات المستشرقين: المحسن بن علي(١/١٣٧)؛ و: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار: (ص٤٣٣).

(٥) الاستشراق وجهوده وأهدافه:(ص٨٦)؛ و: الاستشراق و المستشرقون ما لهم وما عليهم: (ص٣٤).

(٦) ينظر: المستشرقون: نجيب العقيقي. (١/١٥٢).

(٧) ينظر: المستشرقون والمبشرون: إبراهيم خليل.(ص٧٣)؛ و: الفكر الإسلامي الحديث: (ص٤٣٣).

(٨) كالجمعية الأسيوية في باريس١٨٧٧م، ثم الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا وإيرلندا عام ١٨٧٧م، والجمعية الشرقية الأمريكية عام ١٨٤٧م، والجمعية الشرقية الألمانية عام ١٨٤٦م. ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع : (ص٤٣).

(٩) نشطت الجمعيات الاستشراقية في إصدار مطبوعاتها، وكان هامر برجشت الأول من أصدر مجلة

=

المبحث الأول: آيات خلق الإنسان عند المفسرين.

وقف المفسرون الأوائل عند آيات التذكير بقدرة الله في خلق الإنسان عند حدود دلالات الألفاظ العربية، وقواعد تفسيرها، وقد فهموا آيات القرآن الكريم تلك بمعناها الدال على الإعجاز وفقًا لما توفر لديهم من علوم مُعينة على زيادة الفهم، فكانت عندهم غيبٌ معجزٌ إجمالًا مُضمن في إعجاز القرآن البياني، ثم بتطور العلوم كُشفت عديدٌ من الحقائق التي أشار القرآن الكريم إليها ضمن معاني ألفاظه، وأظهر العلم دقة تعبير القرآن الكريم عنها مما جعلها موضع إعجازٍ نُسب الكشف عنه لاحقا لحقائق العلم، فمكمن الإعجاز في دلالة حقائق العلم التجريبي الحديث على معنى دقيق حادث– بطريق الإشارة– لم يكن معروفًا بهذه الدقة زمن نزول القرآن الكريم.

ولا شك أن قضية الخلق من القضايا الغيبية التي محلها نصوص الوحي، وقد اكتفى القرآن الكريم بالإشارة الدالة أو التصريح العام لبعض الأمور المتعلقة بتلك القضية بما يخدم الغرض الأسمى الذي لأجله نزل القرآن الكريم وهو الهداية والإرشاد، وتثبيت العقيدة الصحيحة والرد على الملحدين، فلا مجال في القرآن لتفاصيل علمية دقيقة لا تخدم الغرض ؛ إذ لا يلحظها إلا المختصون في العلوم الكونية والطبيعية، وما جاءت هداية القرآن خاصة بفئة دون فئة، بل كان هدايته للناس كافة، فلا دقائق تخرج بالقرآن عن رسالته العامة ونهجه الشامل، فلن "نجد في القرآن سردًا تاريخيًا

=

استشراقيه متخصصة في أوروبا وهى مجلة (ينابيع الشرق) في فيينا عام ١٨٠٤م، ثم ظهرت(مجلة الإسلام) في باريس عام ١٨٩٥م، وفى عام ١٩١٠م ظهرت(مجلة الإسلام)الألمانية ثم أصدر زويمر( ) سنة ١٩١١م مجلة (العالم الإسلامي)من أمريكا ثم توالى إصدار المجلات في روسيا وبريطانيا وسائر البلاد الغربية.ينظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع : (ص٤٣-٤٤).

ينظر: الاستشراق و المستشرقون ما لهم وما عليهم: (ص٣٦).

(١) ينظر: الاستشراق و المستشرقون ما لهم وما عليهم: (ص٣٤).

مفصلًا لقصة، ولا عرضًا شاملًا لكل أحداثها، ومواقف أشخاصها، والباحثون عن هذه التفاصيل لن يجدوها في القرآن"[١].

ويعنى البحث في مباحثه بما يعم الإنسان الأول آدم عليه السلام، والمادة التي خلق منها، وما يستتبع ذلك من خلق ذريته، في مختلف أحوالها ومراحلها، انطلاقًا من التفكر في خلق النفس، ومن ثم التدبر في حالة الخلق الأول وصولًا إلى الإيمان اليقيني بعظمة الخالق عز وجل،وقد أكد القرآن الكريم على مرور خلق الإنسان عامة بأحوال سماها أطوارا. قال تعالى:﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾(نوح: ١٣-١٤). قال جمهور المفسرين: المراد بهذه الأطوار ما فصل في مواضع أخر من خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة وهكذا[٢]، ودليل ذلك سياق الآيات التي وردت في معرض التدليل على طلاقة القدرة والاستدلال بالخلق على الوحدانية.

المطلب الأول: آيات خلق آدم(من تراب) و (من طين):

أكد القرآن على خلق آدم – عليه السلام– من تراب في مواضع ستة: قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ (آل عمران: ٥٩)، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾(الكهف: ٣٧)، وقوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾(الحج: ٥)،

---

(١) ينظر: القصص القرآني للخالدي: (١/ ٤٠).

(٢) قال الماوردي بعد أن ذكر قول الجمهور: إن من الأطوار اختلافهم في الطول والقصر، والقوة والضعف والهم والتصرف، والغنى والفقر، ويحتمل: أن الأطوار اختلافهم في الأخلاق والأفعال. ينظر: النكت والعيون: (١٠٢/٦).

وقولــــه تعـــالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ﴾(الــــروم: ٢٠)، وقولـه تعـالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾(فـاطر: ١١)، وقولـه تعـالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾(غـافر: ٦٧). وفـي الآيات تصريح بخلقه – عليه السلام– من المادة الأولى التراب قبل أن يبل فيصير طينًا، وقد تنوعت الآيات بين خطاب للغائب أو للمفرد المخاطب أو للمخـاطبين علـى سـبيل التـذكير بأصـل النشـأة تنبيهـًا علـى تبعيـة الفـرع لأصله[١]، وجمهور المفسرين على أن آدم هو الذي خلق من تراب.

ثم أبرز القرآن خلق آدم – عليه السلام– من طين في ثمانية مواضع تنوعت بين سور مكية ومدنية تقريرًا لهذه الحقيقة وتذكيرًا للإنسان بأصله الأول. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴾(الأنعام : ٢)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾(الأعراف: ١٢)، وقال تعالى:﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴾(الإسراء: ٦١)، وآية سورة المؤمنون وسيأتي عرضها خلال الآيات الجامعة، وقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴾–(السجدة:٧) ، وقال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴾ (الصافات:١١)، وقال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴾(ص: ٧١)، وقال تعالى مخبرًا عن

(١) على أن من المفسرين من خالف الظاهر وتأول خلق الذرية من طين، وسيأتي استعراض ذلك.

إبليس: ﴿ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾(ص: ٧٦).

ولم يختلف فهم المفسرين لمادة خلق الإنسان الأول آدم من طين، وإن اختلفوا في الآيات المضاف فيها فعل الخلق لضمير الجمع بين قائل إن المراد آدم، ومجوز لكون الخطاب للجميع على تأويلٍ،على أقوال ثلاثة:

الأول: **خلق أصلهم من طين.** قال الطبري: هو الذي خلقكم أيها الناس من طين، وإنما يعني بذلك –تعالى ذكره– أن الناس وَلَدُ مَن خَلَقه من طين، فأخرج ذلك مخرج الخطاب لهم، إذ كانوا وَلَدَه(١)، وأسند في ذلك أخبارًا عن قتادة ومجاهد والسدي والضحاك وابن زيد.

الثاني: احتمال أن يراد بالخطاب **جميع بني آدم** لما أبقى في خلقهم من قوة ذلك الطين الذي في آدم وأثره، وإن لم تُر تلك القوة وذلك الأثر(٢)، فالنطفة التي يخلق منها الإنسان أصلها من طين، ثم يقلبها الله نطفة(٣)، ورد ابن عطية هذا القول: وجعل القول بالظاهر أليق بالشريعة؛ فقال: لأن القول بأن الطين يرجع بعد التولد والاستحالات الكثيرة نطفة، مردود عند الأصوليين"(٤)، وهذا الذي ضعفه ابن عطية وغيره(٥) استحسنه الرازي وجعله دليلا على الصانع فقال: "وعندي فيه وجه آخر، وهو أن الإنسان مخلوق من المني ومن دم الطمث ، وهما يتولدان من الدم، والدم إنما يتولد من الأغذية ،...، فثبت أن الإنسان مخلوق من الأغذية النباتية ، ولا شك أنها متولدة من الطين ، فثبت أن كل إنسان متولد من الطين . وهذا الوجه

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (٢٥٥/١١) .

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة: (٣٠٤/١) .

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: (٣/ ١٩٥٩) .

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: (٢٦٦/٢) .

(٥) قال الآلوسي: وقيل في توجيه خلقهم منه: إن الإنسان مخلوق من النطفة والطمث وهما من الأغذية الحاصلة من التراب بالذات أو بالواسطة ... وفي القلب من هذا شيء . ينظر: روح المعاني: (٨٣/٤) .

عندي أقرب إلى الصواب"(١) .

ويلاحظ أثر ثقافة الرازي الواسعة التي جعلته يفسر الآية بتكون الإنسان من المني والدم، موافقًا في ذلك الكتاب المقدس الذي ثبت خطؤه كما سيأتي.

وقد تابع الرازي في استحسان هذا القول أصحاب الاتجاه العلمي في التفسير كصاحب المنار الذي عد خلقهم من الطين، أي تراب كالعجين يخالطه ماء حالة مناسبة لحدوث التولد الذاتي، لأن بنية الإنسان مكونة من الغذاء ومنه ما في رحم الأنثى من جراثيم النسل ، وما يلقحه من ماء الذكر، فهو متولد من الدم، والدم من الغذاء مرجعه إلى النبات ثم إلى الطين(٢)، وما سبق هو مضمون كلام الشيخين المراغي(٣) وأبي زهرة(٤).

<u>الثالث</u>: أن الملك الموكل بالرحم يأخذ النطفة فيضعها على كفه، ويأخذ التراب الذي يدفن في بقعته ويعجن به نطفته. قال القرطبي: وعلى هذا يكون كل إنسان مخلوقا من طين وماء مهين(٥). وقد نقل المفسرون في ذلك ذلك آثارًا جميعها لا تصح(٦)، ويدحض هذا الرأي كذلك: أن القرآن يدل

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: (٤٨٠/١٢) .

(٢) ينظر: تفسير القرآن الحكيم: (٧/ ٢٤٧) .

(٣) ينظر: تفسير المراغي: (٧/ ٧٢) .

(٤) ينظر: زهرة التفاسير: (٣/ ٢٤٣٣) .

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٣٨٧/٦) .

(٦) منها حديث: **مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَقَدْ ذُرَّ عَلَيْهِ مِنْ تُرَابِ حُفْرَتِهِ**،أخرجه أبو نعيم في الحلية(٢٨٠/٢) وقال: حديث غريب. انتهى. وفي سنده **أحمد بن الحسن بن أبان المصري**. قال ابن حبان: أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبَانٍ الْمِصْرِي من أهل الأيلة كَذَّاب دجال من الدجاجلة. ينظر: المجروحين لابن حبان: (١٤٩/١) ؛ وضعفه الذهبي في ديوان الضعفاء والمتروكين: (٢١/٣) .

وحديث: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، سِيقَ مِنْ أَرْضِهِ، وَسَمَائِهِ إِلَى تُرْبَتِهِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا**. أخرجه البيهقي في: شعب الإيمان: (١٧٣/٧) باب الصبر على المصائب، فصل في ذكر ما في الأوجاع والمصائب، ح (٩٤٢٥) ، والهيثمي في مجمعه: (٤٢/٣) بلفظ: جاءت به منيته إلى تربته. وقال: وفيه الأحوص بن حكيم، وثقه العجلي، وضعفه الجمهور.

وأثر ابن مسعود: **أَنَّ اللَّه يَأْمُرُ مَلَكَ الْأَرْحَامِ أَنْ يَكْتُبَ الْأَجَلَ وَالرِّزْقَ وَالْأَرْضَ الَّتِي يُدْفَنُ فِيهَا وَأَنَّهُ يَأْخُذُ مِنْ تُرَابِ تِلْكَ الْبُقْعَةِ وَيَذَرُهُ عَلَى النُّطْفَةِ ثُمَّ يُدْخِلُهَا فِي الرَّحِمِ**.والأثر أورده الثعلبي في الكشف والبيان: (٥١٦/٩) ؛ والرازي في التفسير الكبير: (٦٢/٢٢) بلا سند.

على أن مرحلة النطفة بعد مرحلة التراب بمهلة؛ فهي غير مقارنة لها بدليل الترتيب بينهما بـ(ثم) في كافة مواضع ورودهما[١].ثم تتابع المفسرون[٢] على عد القولين الأولَين، وإن أخذوا بالأشهر والأظهر الذي تعضده اللغة، ويدل عليه سياق محاجة المعاندين، وهو القول الأول.

ثم جاء المولى أبو السعود فأبدع في تصوير بلاغة الخطاب للمعاندين- على القول الأول- مع كفاية علمهم بخلق آدم من الطين، وكون ذلك دافعا لإيجاب الإيمانِ بالبعثِ وبطلانِ الامتراءِ لتوضيحِ منهاجِ القياس، وللمبالغة في إزاحةِ الاشتباه والالتباس عن أصحابه، ....، إذ لما كان خلقُه على هذا النمط الساري إلى جميع أفراد ذريتِه أبدعَ من أن يكون ذلك مقصوراً على نفسه كما هو المفهومُ من نسبة الخلق المذكورِ إليه، وأدل على عِظَم قُدرة الخلاق العليم وكمالِ علمِه وحكمتِه وكان ابتداءُ حال المخاطَبين أولى بأن يكون معياراً لانتهائها= لأجل ذلك فَعلَ ما فعل، ولله درُ شأن التنزيل، وعلى هذا السرِّ مدارُ قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ (الأعراف : ١١) ، وقوله تعالى :﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾(مريم : ٩)....، فكل واحد من أفراد الجنس البشري له حظ من خلق أبيه آدم، حيث لم تكن فطرتُه البديعة مقصورةً على نفسه، بل كانت أُنموذَجًا منطوياً على فطرة سائرِ آحادِ الجنس انطواءً إجمالياً مستتبِعًا لجَرَيان آثارِها على الكل[٣].

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (٥/٥٣٠) .

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٦/٣٨٧) .

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: (٣/١٠٦) .

المطلب الثاني: أوصاف الطين في القرآن الكريم:

وصفت مادة الخلق الأولى للإنسان في القرآن الكريم بعدة أوصاف، فجاء وصف الطين[١] في آية سورة الصافات بكونه لازبا. قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ واللازب عند المفسرين: الثابت اللازم لما يجاوره، فهو اللزج الهش الضعيف اللاصق بعضه ببعض، وقيل: اللازق بما أصابه[٢]، وقيل: الخالص، وقيل: يخلو من الماء فتبقى رطوبته في باطنه فيلتصق[٣]. ولا تعارض بين المعاني السابقة كافَّة، إذ لا مانع من اجتماعها كما ترى، وإنما وصف باللُّزوب، لأنه تراب مخلوط بماء؛ والتراب إذا خُلط بماء صار طينا لازبا[٤].

ثم أخبر القرآن عنه بأنه صلصال، وهو: الطين اليابس لم تصبه نار، فإذا نقرتَه سمعت له صوت صلصلة[٥]، ودليل ذلك تشبيهه بالفخَّار في يُبسه[٦]، ولعل سبب صلصلته أنه خلط برمل ونحوه[٧]، وهذا ما جاء في سورة الحجر، فهو صلصال من حمأ مسنون . قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾، وقال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ

---

(١) ذهب بعض المفسرين إلى أن الطين اسم لآدم. قال الطبري: **وآدم هو الطين؛ لأنه خُلق منه**.ينظر: جامع البيان: (١٥/١٩) ويكون مفهوم كلامه أن الإنسان هو ابن آدم ونسله والطين اسم أبيه. والأولى أن من لبيان الجنس

(٢) ينظر: النكت والعيون: (١٠٦/٣) .

(٣) ينظر: زاد المسير: (٥٣٧/٣) .

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: (٢٠/٢١) .

(٥) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: (٩٥/١٧) .

(٦) ينظر: الكشف والبيان: (٤٦٠/١٥) .

(٧) ينظر: النكت والعيون: (٤٢٨/٥) .

لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾، وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾

قيل: الصلصال: المُنْتِن، ويضعفه أنه لو كان معناه كذلك لم يشبه بالفخارِّ، لأن الفخار ليس بمنتن فيشبَّه به في النتن غيره(١)، ولأنه وصف بالحمإ المسنون، وظاهر الآية يدل على أن هذا الصلصال إنما تولد من حمإٍ مسنون، فوجب أن يكون كونه صلصالا مغايرا لكونه حمأ مسنونا، ولو كان كونه صلصالا عبارة عن النتن والتغير لم يبق بين كونه صلصالا، وبين كونه حمأ مسنونا تفاوت(٢).

وقد اختلف في معنى الحمإ المسنون، فالأظهر من الأقوال أنه: طين أسود، وفي المسنون معانٍ أحدها أنه المنتن المتغير(٣)،وثانيها أنه المنصوب القائم، وثالثها أنه المصبوب(٤)، وقيل الرطب لسيلانه وهو يعود لمعنى الصب(٥) ورابعها: الذي يحك بعضه بعضًا، وخامسها: أنه المنسوب الذي ينسب إليه ذريته(٦)، وسابعها: أنه المخلص(٧)، وهي معانٍ محتملة والأولى أن يقال: إنه وصف للطين قبل يبسه، ومعناه مشترك فالله أعلم بالصواب.

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن: (٩٥/١٧) . ويجوز كونه منتنًا ويكون ما بعده تأكيد له.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: (١٣٨/١٩) .

(٣) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: (٤٥٦/١) .

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج: (٣٤٤/١) .

(٥) ينظر: التفسير الكبير: (١٤٣/١٩) .

(٦) ينظر: البحر المحيط في التفسير: (٤٧٦/٦) .

(٧) ينظر: النكت والعيون: (١٥٨/٣) .

ولما يبس هذا الطين ومسته النار في مرحلته هذه وصف بمقاربته للفخار. قال تعالى:﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ (الرحمن: ١٤)، والفخار: الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف، وذلك أن التراب الذي من شأنه التفتت إذا صار بحيث يجعل ظرف الماء والمائعات ولا يتفتت ولا ينقع[١].

فالحاصل أن الإنسان في الوصف القرآني خلق من طين ذي عدة أوصاف؛ فهو في أصل مادته تراب مزج بماء، حتى صار له صوت الصلصلة، ثم مكث حتى تغيرت رائحته، ثم يبس وصلب .

المطلب الثالث: الآيات الجامعة لمراحل الخلق:

أعنى بذلك آيتي سورتي الحج والمؤمنون[٢] اللتين جمعتا مراحل تخلق الإنسان في بطن أمه .

أ- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾(سورة الحج:٥).

يحتج الله جل وعلا بهذه الآية على جنس من أخبر عنه بأنه يجادل في الله بغير علم، اتباعًا للشيطان وتمثلًا بصفته، تنبيهًا له على موضع

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: (٣٤٩/٢٩) .

(٢) اكتفيت بهذين الموضعين لاشتمالهما على ما اشتمل عليه غيرهما من الآيات وزيادة كما في آية سورة غافر التي اشتملت على الخلق من التراب ثم النطفة ثم العلقة ثم الإخراج طفلا.

خطأ قيله، وإنكاره ما أنكر من قدرة ربه. فيقول بخطاب العموم: إن كنتم في شكّ من قدرتنا على بعثكم من قبوركم بعد مماتكم وبلاكم استعظاما منكم لذلك، فإن في ابتدائنا خلق أبيكم آدم -ﷺ-من تراب ثم إنشائنا لكم من نطفة آدم، ثم تصريفنا لكم أحوالا حالا بعد حال، من نطفة إلى علقة، ثم من علقة إلى مضغة، لكم معتبرا ومتعظا تعتبرون به، فتعلمون أن من قدر على ذلك فغير متعذّر عليه إعادتكم بعد فنائكم كما كنتم أحياء قبل الفناء(١).

وفي الآية تدريج لمراحل الخلق على النحو الآتي:

أولًا: التراب الذي هو أصل المخلوق الأول أبينا آدم. وقد ورد التصريح بخلق الإنسان من تراب في مواضع ستة كما مر وفي الآيات تقريرٌ لخلق آدم من تراب بلا أبٍ ولا أمٍ، وتذكيرٌ لنسله بهذا الخلق العجيب حتى لا ينسى أصله.

ثانيًا:الخلق من نطفة (طور النطفة): وقد ورد التصريح بخلق الإنسان من نطفة في أحد عشر موضعًا في قوله تعالى:﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ﴾(النحل: ٤)، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾(الكهف: ٣٧) والموضع الذي معنا في سورة الحج، وقوله تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴾(المؤمنون: ١٣) وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ ﴾ (فاطر: ١١) وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: (١٨/٥٦٧) .

(يس: ٧٧)، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾(غافر: ٦٧)، وقوله تعالى: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ (النجم: ٤٦)، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴾ (القيامة: ٣٧) ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾(الإنسان: ٢) وقوله تعالى: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴾(عبس: ١٩) والنطفة عند المفسرين: الماء القليل، وهو: المني[١]، يعني: نُطْفَةٍ آدم[٢]، وهذا هو قول جمهور المفسرين.

أما الإمام الرازي فقد رجح القول بأن خِلْقَةَ الإنسان– ما خلا آدم– من المني ودم الطمث وهما يتولدان من الأغذية التي تنتهي إلى النبات الذي يتولد من الأرض والماء[٣] كما مر.

هذا ويراد بالنطفة في الآية هاهنا أول مراحل التخلق في البطن التي تبدأ من أول الحمل حتى تكون العلقة[٤].

وأشار ابن عاشور إلى إعجاز الخلق من النطفة؛ فقال: وذلك أنه قد تقرر في علم الطب أن في رحم المرأة مُدة الحيض جزءًا هو مقر الأجرام التي أعدت لأن يتكون منها الجنين، وهذا الجُزء من الرحم يسمى في الاصطلاح الطبي(المَبِيض) لأنه مقر حُبيبات دقيقة جداً، مودعة في كرة دقيقة كالغِلاف لها يقال لها (الحُويصلة) تشتمل على سائل تسبح فيه

(١) ينظر: الكشف والبيان: (٨/٧) ؛ و: معالم التنزيل: (٣٦٦/٥) .
(٢) ينظر: المحرر الوجيز: (١٠٨/٤) .
(٣) ينظر: التفسير الكبير: (٢٠٤/٢٣) .
(٤) تنتهي مرحلة النطفة بعد ٥ أو ٦ أيام من الحمل. ينظر: من علم الطب القرآني: (ص:٣٦–٣٧) .

البيضة فإذا حاضت المرأة ازدادت كمية ذلك السائل الذي تسبح فيه البيضة فأوجب ذلك انفجار غلاف الحُويصلة، فيأخذ ذلك السائل في الانحدار يَحمل البيضة السابحة فيه إلى قناة دقيقة تسمى (بوق فلوبيوس) لشبهه بالبُوق، فإذا نزل فيه النطفة بعد انتهاء سيلان دم الحيض لقحت فيه البيضة واختلطت أجزاؤها بأجزاء النطفة المشتملة على جرثومات ذات حياة وتمكث مع البيضة متحركة مقدار سبعة أيام تكون البيضة في أثنائها تتطور بالشكل بشِبه تقسيم من أثر ضغط طبيعي، وفي نهاية تلك المدة تصل البيضة إلى الرحم وهنالك تأخذ في التشكل ، وبعد أربعين يوماً تصير البيضة عَلَقة في حجم نملة كبيرة طولها من ١٢ إلى ١٤ مليمتر ، ثم يزداد تشكلها فتصير قطعة صغيرة من لَحم هي المسماة (مُضغة) طولها ثلاثة سنتيمتر تلوح فيها تشكلات الوجه والأنف خفيّة جداً كالخطوط، ثم يزداد التشكل يوماً فيوماً إلى أن يستكمل الجنين مدته فيندفعَ للخروج وهو الولادة(١) .

وقد وصفت النطفة في أول مراحلها بأنها (ماء دافق) . قال تعالى: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾(الطارق: ٦)يعني: المني؛ يخرج مدفوقًا من الرجل ومن المرأة، فيتولد منهما الولد بإذن الله(٢)، يخرج من بين عظام الظهر وعظام صدر المرأة، قال القرطبي: "فالدافق هو المندفق بشدة قوته. وأراد ماءين: ماء الرجل وماء المرأة، لأن الإنسان مخلوق منهما، لكن جعلهما ماء واحدا لامتزاجهما(٣)

(١) ينظر: التحرير والتنوير: (١٩٨/١٧) . ويراجع: من علم الطب القرآني لعدنان الشريف: (ص: ١٦٦).

(٢) ينظر: : الجامع لأحكام القرآن: (٤/٢٠) .

(٣) ينظر: : تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٣٧٥/٨) .

ثالثًا: العلقة: وهي الدم العبيط الجامد[1]، أي: النطفة تصير في الرحم دمًا جامدًا من شأنه أن يعلق، وقد جاء ذكر العلق في قوله تعالى:﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾(العلق: ١ – ٢)، وفي سورة المؤمنون: ١٤) وفي (سورة غافر: ٧٦)، وفي (سورة القيامة:٣) ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾وقد فهم المفسرون منذ القرون الأولى للإسلام معنى خلق الإنسان(من علق)؛ لأن العلق في اللغة من معانيه عندهم الدم المتجمد. قال الماتريدي: "والعلق: الدم الجامد"[2].وقيل: العلقة: الدم الجامد قبل أن يبيض، وذلك أن النطفة المخلوق منها الولد تصير دمًا غليظًا[3]،وقيل العلق، الشديد الحمرة فسمي الدم لذلك[4].وعلل الماوردي لسر التعبير عنها بالعلوق فقال: "والعلقة قطعة من دم رطب سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه، فإذا جفت لم تكن علقة"[5]. قال القرطبي: "أي من دم جامد، وإذا جرى فهو المسفوح[6].

وقد لاحظ ابن عاشور إعجاز القرآن العلمي في ذكر العلقة. قال:" لأن الثابت في العلم الآن أن الإنسان يتخلق من بويضة دقيقة جدًا لا تُرى إلا بالمرآة المكبرة أضعافًا تكون في مبدأ ظهورها كروية الشكل سابحة في دم حيض المرأة، فلا تقبل التخلق حتى تخالطها نطفة الرجل فتمتزج معها، فتأخذ في التخلق إذا لم يعقها عائق كما قال تعالى: ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ (الحج: ٥) فإذا أخذت في التخلق والنمو امتد تكورها قليلا

(١) ينظر: الكشف والبيان: (٨/٧) ؛ و: النكت والعيون: (٨/٤) .
(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة: (٥٧٧/١٠) .
(٣) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي: (٢٥٩/٣) .
(٤) ينظر: المحرر الوجيز: (١٠٨/٤) .
(٥) ينظر: النكت والعيون: (٣٠٤/٦) .
(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (١١٩/٢٠) .

فشابهت العلقة التي في الماء مشابهة تامة في دقة الجسم وتلونها بلون الدم الذي هي سابحة فيه وفي كونها سابحة في سائل كما تسبح العلقة[١].

بهذا يظهر ربط المفسرين المسلمين بين مرحلة العلقة والعلوق برحم المرأة منذ قرون، سابقًا في ذلك كافة الاكتشافات العلمية التجريبية في عصرنا الحاضر.

رابعًا: المضغة: وهي لحمة قليلة قدر ما تمضغ[٢]، وبهذا فقد صار الماء ثخينا يعلق، ثم اشتد فصار لحمًا، وهذا اللحم إما أن يخلق أو لا يُخلق؛ وفي ذلك أقوال:

١-المخلقة: ما كان خلقا سَوِيّا وغير المخلقة ما دفعته الأرحام، من النطف، وألقته قبل أن يكون خلقا، ونسب هذا القول لابن مسعود في أثر اشتهر عنه[٣].

٢- المخلقة: تامة الخلق وغير المخلقة: غير تامة الخلق، وهذا قول ابن عباس وقتادة[٤]، وتمام الخلق أن ينفخ الروح فيه، وهو الذي يولد لتمامٍ

(١) ينظر: التحرير والتنوير: (٤٣٨/٣٠) . ويراجع: من علم الطب القرآني: (ص:٥١-٥٢) .

(٢) ينظر: الكشف والبيان: (٨/٧) . النكت والعيون: (٨/٤) ؛ و: التفسير الوسيط للواحدي: (٢٥٩/٣) .

(٣) نقل غير واحد من المفسرين عن ابن مسعود وعن بعض الصحابة قال: إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله عز وجل ملكا، فقال: يا رب مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة مجتها الأرحام دما، وإن قال: مخلقة قال: يا رب فما صفة هذه النطفة؟ أذكر أم أنثى؟ ما رزقها؟ ما أجلها؟ أشقي أم سعيد؟ فيقال له: انطلق إلى أم الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة، فينطلق الملك فينسخها، فلا تزال معه حتى يأتي على آخر صفتها. ينظر: جامع البيان: (٥٦٧/١٨) . الكشف والبيان: (٨/٧) وقد ارتضى الشيخ شاكر إسناد الحديث بعد دراسة مطولة للسند في هامش الأثر ١٦٨ (١٥٦/١) .

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج: (٤١٢/٣) . الكشف والبيان: (٨/٧) . وعزاه القرطبي لابن زيد، ونقل تعليق ابن العربي عليه فقال: إذا رجعنا إلى أصل الاشتقاق فإن النطفة والعلقة والمضغة مخلقة، لأن الكل خلق الله تعالى، وإن رجعنا إلى التصوير الذي هو منتهى الخلقة كما قال تعالى:" ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾فذلك ما قال ابن زيد. ثم قال: قلت: التخليق من الخلق، وفيه معنى الكثرة، فما تتابع عليه الأطوار فقد خلق خلقا بعد خلق، وإذا كان نطفة فهو مخلوق. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٩/١٢) ويراجع:أحكام القرآن لابن العربي: (٢٢٧/٣) .

حيا، وما سقط كان غير مخلقة، أي غير حي بإكمال خلقه بالروح، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء، وعكرمة، والكلبي(١). قال الماتريدي: "وهو الأشبه؛ لأن التشديد إنما يذكر لتكثير الفعل، والتخفيف لتقليله، فكأنه قال:(مُخَلَّقَةٍ)، أي: قد أتم خلقها من الجوارح والأعضاء، (وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ)، أي: غير تامة خلقا. بل ناقصة(٢).ولما كان الإنسانُ فيه أعضاء متباينة، وكل واحد منها مختصّ بخلق- حَسُنَ في جملته تضعيف الفعل، لأن فيه خلقا كثيرا(٣).

٣- مخلقة:مصورة وغيرمخلقة: غيرمصورة كالسقط(٤)، ونسب لمجاهد(٥).

٤- المخلقة: التامة في شهورها،وغير المخلقة: غير التامة في شهورها ، ونسب الضحاك(٦).

٥- المخلقة وغير المخلقة: السقط: تارة يسقط نطفة وعلقة، وتارة قد صُوِّر بعضه، وتارة قد صُوِّر كلُّه، ونسب للسدي(٧).

٦- المخلقة: المسواة الملساء من النقصان والعيب، كأنّ الله -تعالى- يخلق المضغ متفاوتة: منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب، ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم، وتمامهم ونقصانهم(٨).

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي: (٢٥٩/٣) .

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة: (٣٩١/٧٣) .

(٣) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: (١٠٩/٤) .

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج: (٤١٢/٣) . بحر العلوم: (٤٤٩/٢) .الكشف والبيان: (٨/٧) .

(٥) ينظر: الكشف والبيان: (٨/٧) . معالم التنزيل: (٣٦٦/٥) .

(٦) ينظر: النكت والعيون: (٨/٤) .

(٧) ينظر: التفسير الوسيط للواحدي: (٢٥٩/٣) . زاد المسير: (٢٢٣/٣) .

(٨) ينظر: الكشاف: (١٤٤/٣) . التفسير الكبير: (٢٠٤/٢٣) .

ولا تعارض بين الأقوال كافةً عدا خامسها؛ إذ يمكن الجمع بينها بأن يقال: إن المضغة على حالين: حال تام سوي مصور مستوفٍ وقته، وحال بخلافه، وإنما استثنيتُ السقط؛ لأنه جعل المخلق سقطًا خلقت له الأعضاء فصور، وغير المخلق سقطا لغير تصوير. قال الرازي: " فقوله تعالى أول الآية: (**فإنا خلقناكم**) إشارة إلى الناس فيجب أن تحمل مخلقة وغير مخلقة على من سيصير إنسانا، وذلك يبعد في السقط؛ لأنه قد يكون سقطا ولم يتكامل فيه الخلقة (١).

قال ابن عاشور: "فقوله تعالى: ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ صفة ﴿ مُّضْغَةٍ ﴾وذلك تطور من تطورات المضغة، أشار إلى أطوار تشكل تلك المضغة فإنها في أول أمرها تكون غير مخلّقة ، أي غير ظاهر فيها شَكل الخِلقة ، ثم تكون مخلّقة ، والمراد تشكيل الوجه ثم الأطراف، ولذلك لم يُذكر مثل هذين الوصفين عند ذكر النطفة والعلقة ، إذ ليس لهما مثل هذين الوصفين بخلاف المضغة، وإذْ قد جعلت المضغة من مبادىء الخلق تعيّن أن كلا الوصفين لازِمان للمضغة ، فلا يستقيم تفسير من فسّر غير المخلقة بأنها التي لم يكمل خلقها فسقطت(٢) .

الخامس: إخراج المخلوق طفلًا، ثم **السادس**: بلوغ الطفل أشده، ثم **السابع**: يصير شيخًا إلى أن يموت فيعود إلى التراب الذي بدئ خلقه منه، أو يرد إلى أرذل العلم ثم يقبر، وفي هذا التنقل من حال إلى حال ومن خلقة إلى خلقة بيان للقدرة والحكمة العلية في الخلق والبعث، ولفت للأنظار أن من قدر على الخلق من تراب أول الأمر، ثم من نطفة ثانيا وقدر على جعل

(١) ينظر: التفسير الكبير: (٢٠٤/٢٣) .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: (١٩٨/١٧) . وينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن: (ص:٢٢٣) .

النطفة علقة، ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما، وبين كل واحدة منها تباين ظاهر، لا شك قادر على إعادة ما بدأه.ومصداقا للآيات ما أخرجه البخاري عن زيد بن وهب، قال عبد الله: حدثنا رسول الله -ﷺ-وهو الصادق المصدوق، قال: " **إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ**[1].

ب- الآية الثانية: قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾(المؤمنون: ١٢ – ١٤)، وقد أشارت الآيات إلى إعجاز خلق الفرع، بعد تقرر إعجاز خلق الأصل، فوصف خلق الفرع (نسل آدم) بمجموعة من الصفات الدالة على الإعجاز، فكانت وفق التشكل:

١- **السلالة**:وقد ذهب المفسرون إلى أن السلالة هي الشيء المستخلص، وقد فهم عامتهم معنى الاستلال الظاهري بشكل صحيح كما دل عليه اللفظ القرآني. قال الطبري: السلالة: المستلة من كلّ تربة، ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض"[2]. وقال الزجاج: والسلالة فعالة، وهي القليل مما ينسل"[3].وقال الماتريدي: "السلالة: الخالص من

(١) صحيح البخاري: (١١١/٤) كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ح رقم:(٣٢٠٨) .
(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: (٢٤/١٩) .
(٣) نقله عنه ابن الجوزي. ينظر: زاد المسير في علم التفسير: (٢٥٧/٣) .

كل"[١]، وقال الثعلبي: "والعرب تسمّي نطفة الشيء وولده سليله وسلالته؛ لأنّهما مسلولان منه"[٢].

فـ:"السلالة صفوة الماء المسلول من الصلب، فإذا عصر الطين سال وانساب الماء[٣]. قال الكلبي: خلقنا الإنسان يعني: ابن آدم من نطفة سُلَّت تلك النطفة من طين، والطين آدم"[٤].وهذا المعنى هو عين ما فُهم لغويًا. قال ابن منظور:" السل: انتزاع الشيء وإخراجه في رفق، والانسلال: المضي والخروج من مضيق أو زحام"[٥].

وخلاصة قول جمهور المفسرين تدور حول أمرين: أحدهما أن السلالة من طين: آدم استله ربه حين خلقه، والثاني : أن المعنيّ به كل إنسان؛ لأنه يرجع إلى آدم الذي خلق من سلالة من طين، والسلالة هي الأجزاء الطينية المبثوثة في أعضائه التي لما اجتمعت وحصلت في أوعية المني صارت منيا"[٦]، وقيل : لأنه استل من نطفة أبيه، وقد تُسَمَّى المضغة سلالة والولد سلالة إما لأنهما صفوتان على الوجه الأول وإما لأنهما ينسلان على الوجه الثاني"[٧].بينما يوافق الرازي أصله الذي جوزه من صحة تولد الإنسان من النطفة المتولدة من بقايا الهضم المتولد من الأغذية الحيوانية أو النباتية، والنبات أصله الأرض والماء، فيكون الإنسان في الحقيقة متولدا من سلالة من طين تواردت على أطوار الخلقة حتى صارت منيا"[٨].

---

(١) ينظر: تأويلات أهل السنة: (٧/٤٥٤) .

(٢) ينظر: الكشف والبيان: (٧/٤٢) .

(٣) ينظر: تفسير السمعاني: (٣/ ٤٦٦) .

(٤) ينظر: بحر العلوم: (٢/٤٧٥) .

(٥) ينظر: لسان العرب: (١١/٣٣٨) . مادة (ن س ل) .

(٦) ينظر: النكت والعيون: (٤/٤٧) .

(٧) ينظر: التفسير الكبير: (٢٣/٢٦٥) .

(٨) ينظر: النكت والعيون: (٤/٤٧) .

وقد جاء وصف السلالة بأنها من ماء مهين. قال تعالى:﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾(السجدة: ٧ – ٨) أي: جَعَلَ ذرّية آدم الذي خلق من طين من ماء ضعيف رقيق انسلّ فخرج منه.قال البقاعي: جعل ولده الذي ينسل أي يخرج من شيء مسلول، منتزع منه من ماء حقير وضعيف وقليل مراق"(١).

قال ابن عاشور: "سميت النطفة التي يتقوم منها تكوين الجنين سلالة؛ لأنها تنفصل عن الرجل، فالسلالة هي الماء المهين، هذا هو الظاهر لمتعارف الناس، **<u>ولكن في الآية إيماء علمي لم يدركه الناس إلا في هذا العصر</u>**، وهو أن النطفة يتوقف تكون الجنين عليها؛ لأنه يتكون من ذرات فيها تختلط مع سلالة من المرأة، وما زاد على ذلك يذهب فضله، فالسلالة التي تنفرز من الماء المهين هي النسل لا جميع الماء المهين(٢).

وهذا القدر كافٍ في إثبات أن اللفظ لم يبعد عن سياقه أثناء التفسير، وأن المفسرين قد فهموا القدر المطابق لمعناه اللغوي بشكل صحيح منذ القدم حتى تطور الفهم إلى ما استقر علميًا الآن دون مخالفة للسياق ولا تغير في الألفاظ، وهذا من أبرز أدلة الإعجاز القرآني التي يجب فهمها، " فالإنسان في الآية يُخلق مما يستخرج من ماءَي الرجل والمرأة، ولم يحدّد القرآن أكثر من ذلك، والعلم الآن يخبرنا أنّ الإنسان يُخلق من حيوان منوي يستلّ من

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (١٥/٢٤٤) .

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: (٢١/٢١٦) . ويراجع: خلق الإنسان بين الطب والقرآن: (ص١٦٠-١٦٢) ؛ و: من علم الطب القرآني: (ص:٧٥) .

مـاء الرجـل، وبويضـة المـرأة المحاطـة بالسـوائل، فهاهنـا معنـى الاسـتلال ظاهر [١].

٢- **القـرار المكـين:** وقـد أجمـع المفسـرون علـى أن القـرار المكـين موضعٌ تستقر فيه نطفة الرجل من رحم المرأة مكينٌ؛ لأنـه مُكّن لذلك وهيئ لـه ليستقرّ فيـه إلـى بلـوغ أمره الـذي جعلـه لـه قرارا[٢]، وإذا كـان المكين فـي الأصل صفة للمستقر، فقد وصف به المحل هاهنا للمبالغة[٣].

وجـوز الماتريـدي أن يكـون القـرار هـو صـلب الرجـل، لأن النطفـة لا تخلق فـي الصلب أول ما يخلق الإنسـان، ولكن تجعل فيـه من بعد، فيكون الصلب قرارها ومكانها إلى وقت خروجها منه إلى الرحم [٤].

وما جوزه الماتريدي لا يقوى على مخالفة إجماع الجمهور؛ وذلك أن الجعل يقتضي أن الرحم نفسها متمكنة، ومعنى تمكنها: أنها لا تنفصل لثقل حملها أولاً تمج ما فيها، فهو كناية عن جعل النطفة محرزة مصونة[٥].

٣- جعـل النطفـة علقـة ثـم تحـول العلقـة مضـغة ثـم خلـق العظـام للمضغة، ثم كسوته باللحم ومن ثم جعله إنسانا تاما بنفخ الروح فيه وإعطائه صفاته البشرية المتنوعة- وسيأتي مزيد بيان لهذا في المبحث القادم-.

٤- وصـــف النطفـــة بأمشـــاج:﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾(الإنسـان:٢). وجمهـور المفسـرين علـى أن معنـى الأمشـاج التـي يتخلق الإنسان منها= المختلط من ماءي الرجل والمرأة[١].

---

(١) ينظر: العلم وحقائقه: (ص:٤٤٦) .

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: (١٦/١٩) .

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: (٨٣/٤) .

(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة: (٤٥٤/٧) .

(٥) ينظر: روح المعاني: (٢١٦/٩) .

جاء عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما: "(أَمْشاجٍ) يعني ماءً مختلطًا، وهو ماء الرجل وماء المرأة، فإذا اختلطا فذلك المشج"[٢]، ويؤيده ما جاء عند الإمام مسلم من قول النبي-ﷺ-: مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، ومَاءُ المَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمعا، فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ المَرْأَةِ، أَذْكَرَا بإِذْنِ اللهِ، وإذَا عَلَا مَنِيُّ المَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ، آنَثَا بإِذْنِ اللهِ[٣]. وعن ابن عباس أنها أحوال ينتقل إليها، وقيل: عُني بذلك اختلاف ألوان النطفة لونا وشبها، وهو مروي عن مجاهد، وقيل: العروق التي تكون في النطفة، وهو قول لعبد الله بن مسعود وأسامة بن زيد"[٤]، وروي عن الحسن: نعم والله خلقت من نطفة مشجت بدم وهو دم الحيضة فإذا حبلت ارتفع الحيض"[٥]، وذلك أن المرأة إذا تلقت ماء الرجل وحبلت أمسك حيضها فاختلطت النطفة بالدم"[٦]

وقال الماتريدي: "والأمشاج الأخلاط، ثم الأخلاط تقع بوجهين: أحدهما: في اختلاط ماء الرجل بماء المرأة . والثاني: يقع في الأحوال، وهي أن النطفة إذا حولت علقة، لم تحول بدفعة واحدة، بل هي تغلظ شيئا فشيئا حتى إذا تم غلظها صارت علقة، وكذلك العلقة يدخل فيها التغيير شيئا فشيئا حتى إذا تم التغيير فيها حالت مضغة، فهذا هو الاختلاط في الأحوال"[٧].

=

(١) إذا كانت أمشاجا جمعا وصف به النطفة فيكون إشارة إلى تخلق عضو من كل جزء من النطفة . ينظر: التحرير والتنوير: (٣٧٤/١٤) .

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن: (٩٠/٢٤) .

(٣) صحيح مسلم: (٢٥٢/١) كتاب الحيض ، باب بيان صفة مني الرجل. ح رقم:(٣١٥) .

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: (٩٠/٢٤) .

(٥) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: (٩٤/١٠) .

(٦) ينظر: التفسير الكبير: (٧٤٠/٣٠) .

(٧) ينظر: تأويلات أهل السنة: (٣٥٩/١٠) .

ورجح الطبري أن معنى مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ نطفة الرجل ونطفة المرأة:؛ لأن الله وصف النطفة بأنها أمشاج، وهي إذا انتقلت فصارت علقة، فقد استحالت عن معنى النطفة، فكيف تكون نطفة أمشاجا وهي علقة ؟ وأما الذين قالوا: إن نطفة الرجل بيضاء وحمراء، فإن المعروف من نطفة الرجل أنها سحراء على لون واحد، وهي بيضاء تضرب إلى الحمرة، وإذا كانت لونا واحدا لم تكن ألوانا مختلفة ، وأحسب أن الذين قالوا : هي العروق التي في النطفة قصدوا هذا المعنى"(١).

وفي وصفُ القرآن الكريم خليط ماء الرجل والمرأة أنّه «أمشاج » في صيغة الجمع؛ برهان أنّ مجموع ماءيهما مركّب من أخلاط كثيرة، وقد أشار المفسرون إلى هذا المعنى عمومًا في سياقه ووفقًا لما اقتضته بيئاتهم، ثم كشف العلم في عصر المجهر أنّ كيان الحيوان المنوي وبويضة المرأة معقدٌ، كثير العضيّات(٢).

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن: (٩٠/٢٤) .

(٢) ينظر: العلم وحقائقه: (ص:٤٥٧) .

المبحث الثاني: **آيات خلق الإنسان في ضوء العلم الحديث ومظهر الإعجاز فيها**.

كانت الثقافة العلمية حتى عصر البعثة النبوية ضئيلة جدًا حيث كانت مكة تضم طائفة أمية من العرب الذين لم يتركوا لنا خبرًا علميًا عن معرفتهم بعلم الأجنة، ولا هم يرتقون أبدًا إلى المساهمة في هذا العلم، وأما في المدينة فقد جاور المسلمون اليهود، وهم طائفة لها استقلالها العلمي عن النصارى واليونان في خبرهم العلمي بما عندهم من تفصيل في كتبهم، ولم يُؤثر عن اليهود مدوّنة علمية في علم الأجنة قبل الإسلام حتى القرن السابع؛ ولذلك فمصدر العلم بالموقف العلمي لليهود في علم الأجنّة زمن البعثة هو – أساسًا– الكتاب المقدس (العهد القديم)، والتلمودين البابلي والأورشليمي(١).

وقد استطاع التراث اليهودي التلمودي التأثير في الثقافة الإسلامية كما يظهر في عدد من الأحاديث التي ردّ علماء الحديث نسبتها إلى النبي-ﷺ- لأنها مختلقة، أو وَهِمَ الرواة فظنوا أنها من كلام النبي-ﷺ-، في حين أنها من تراث أهل الكتاب السائر بين الناس في القرون الهجرية الأولى(٢)، كما تُظهر السيرة النبوية في أخبارها أثر الثقافة اليهودية في

---

(١) ينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن: (ص: ٣٧١) والمعروف أن مجموعة التعاليم الشفهية والمكتوبة التي جمعت سواء أكان في بابل، أم في فلسطين، لم تكن متاحة لغير حاخامات اليهود لدراستها وتدريسها إلى أن بدأ عصر الطباعة في أوروبا في القرن السادس عشر، فبدأت ترجمات التلمودبترجمات إنجليزية وفرنسية، مع حذف العديد الفقرات التي تسئ إلى المسيح عليه السلام وإلى السيدة العذراء والتي يمكن أن تصدم الجمهور المسيحي من النص المترجم.التلمود أصله وتسلسله وآدابه: ترجمة: شمعون مويال، تقديم: ليلى أبو المجد: (ص: ٨) .

(٢) ومن ذلك حديث: (إن نطفة الرجل بيضاء غليظة، فمنها يكون العظام والعصب، وإن نطفة المرأة صفراء رقيقة، فمنها يكون الدم واللحم) أخرجه الإمام أحمد في المسند: (٢٥٧/٤) وقال الشيخ شاكر: =

المدينة النبوية كما في مسألة أصل الحول، فعن جابر – رضي الله عنه–، قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت: ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ ﴾(البقرة : ٢٢٣) (١).

لقد كانت الثقافة الجاهلية في مكة والمدينة نزاعةً إلى التفسيرات البسيطة والخرافية لما يتعلق بأصل الذكورة والأنوثة والشبه، والذي هو مستقر إلى اليوم في ثقافتنا الشعبية من الظن أن إعجاب الحامل بشيء تراه يكون له أثر في بنية الولد، وليس عندنا برهان على أثر للثقافة اليونانية لعلم الأجنة في مكة أو المدينة على خلاف ما كان مع كتبة أسفار العهد الجديد الذين عاشوا في بيئة يهيمن عليها الأثر العلمي اليوناني في نخبة المتعلمين(٢).

وحتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر لم يكن علم الأجنة(**Embryology**) سوى مسألة تخمين، ولم يكن للمعرفة دخل فيه؛ سوى ما جاء به القرآن الكريم قبل ذلك بألف سنة تقريبًا، والذي لو اطلع

=

إسناده ضعيف، لضعف حسين بن حسن الأشقر، والحديث في مجمع الزوائد،وقال:" رواه أحمد والطبراني، والبزار بإسنادين، وفي أحد إسناديه عامر بن مدرك، وثقه ابن حبان، وضعفه غيره، وبقيه رجاله ثقات، وفي إسناد الجماعة عطاء بن السائب وقد اختلط. ينظر: مجمع الزوائد: (٨/٢٤١) كما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (١٠/١٧٢) وقال محقق كتاب التَّحبير: وفي إسناده جابر الجعفي وهو ضعيف. ينظر: التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير:(٧/ ٣٦٥) .

قال د: عامري: فهذا الحديث الضعيف مطابق لما جاء في التلمود، وإن كان خبر التلمود أوسع في التفصيل، مع اشتراكهما في الخطأ العلمي. ينظر: العلم وحقائقه: (ص:٤٤٥) قلت ولعله من آثار أهل الكتاب فإن تخصيص خلق أعضاء معينة من ماء الرجل دون المرأة والعكس مناقض للأحاديث الصحيحة التي تقرر اشتراك الماءين في خلق الإنسان بلا تفصيل.

(١) صحيح البخاري: (٦/٢٩) كتاب تفسير القرآن، باب نساؤكم حرث لكم، ح رقم:(٤٥٢٨) .

(٢) ينظر: العلم وحقائقه: (ص:٤٤٥) .

عليه اليوم علماء الأجنة الغربيين، لكان قد أرشدهم إلى السبيل السوي في البحث العلمي، ووفر عليهم الكثير من الجهد والوقت والمال في البحث الذي دام أكثر من مائتي سنة قبل أن يتوطد علم الأجنة، ففي بداية البحث العلمي لاكتشاف أطوار تخلق الجنين في منتصف القرن الثامن عشر، كانت النظرية السائدة لدى معظم الطبيعيين ما يسمى بنظرية التخلق التبغي **Preformation**[(١)].

وقد أكد العلم الحديث فساد تلك النظرية وصحة الحقائق التي أوردها القرآن عن مراحل تطور الجنين في كافة أطواره؛ فمثلًا: قوله تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ يفهم من الآيات القرآنيّة أنّ أوّل مرحلة من مراحل تكوّن الجنين هي اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة[(٢)] ﴿ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾فتوضع النطفة في مكان مُقرر واضح جدًا أي في رحم المرأة، والرحم هو القرار المكين المحمي خير حماية بعظام الحوض من اهتزازات الجسم أو من أي كدمات خارجية[(٣)].

---

(١) تزعم هذه النظرية أن بنية الجنين حتى في أطوار التطور المبكرة مماثلة لبنية حيوان بالغ، وإن جميع أعضاء الجنين موجودة وجودًا مسبقاً في الجرثومة بحجم مصغر، وما عليها إلا أن تنمو تدريجيًا إلى أن تُسوّى، ففي سنة ١٦٥١م صدر كتاب للطبيب وعالم التشريح البريطاني وليام هارفي بعنوان ذرية الحيوانات Generation of Animals الذي احتوى نظرية التخلق المتعاقب التي تقول: إن الجنين ينشأ من بنيات متخصصة تتطور بسلسلة من الأطوار من بنيات غير متخصصة موجودة سلفاً، وتعتبر نظرية هارفي البداية لعلم الأجنة. ينظر: معجزة القرآن العلمية في الإنسان مقابلة مع التوراة والإنجيل: (ص: ٢٦) .

(٢) قال الثعلبي:"ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرحم، فيكون منهما جميعًا الولد". ينظر: الكشف والبيان: (١٩٥/٢٨) .

(٣) ينظر: العلم وحقائقه: (ص:٤٥٧) ؛ و: معجزة القرآن العلمية في الإنسان: (ص: ٣٢) .

وقوله تعالى:﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾إشارة إلى ما أثبته العلم الحديث من انتقال النطفة إلى مرحلة قطعة الدم المتجمّد[١]، وتسمى علقة لأنّها تعلق في الرحم، كما أنّها من ناحية الشكل تشبه دودة العلق[٢]، ففي الأسبوع الثالث يتلاحم الحيوان المنوي مع البويضة في الثلث الأخير من قناة فالوب فيخصبها فتتطور لتصبح مؤهلة للعلق في جدار الرحم، فتسير العلقة من القناة إلى جوف الرحم برحلة تقدر ٧-١٠ أيام، خلالها تبدأ عملية تضاعف الخلايا بواسطة الانقسام إلى خليتين فأربعة فثمانية ثم إلى مئات وآلاف ثم إلى آلاف الملايين[٣].

ذهب ويليام كامبل إلى أنه: لا توجد مرحلة الدم المتجمّد **clot** أثناء تكوين الجنين؛ ولذلك فهذا الأمر يمثّل مشكلة علميّة كبيرة جدًا. وقد رد عليه د. سامي عامري بما نقله عن كتاب"علم أمراض الجنين البشري": في نهاية الأسبوع الثاني، من الممكن التعرّف على موقع الزرع كمساحة صغيرة مرتفعة من بطانة الرحم مع مسام مركزي فيه دم متجلّط **a blood clot.** انتهى. وبما قاله د. محمد علي البار عن تلك المرحلة والذي جاء فيه: "هناك جملة تعلّقات في هذه المرحلة، تعلّق أوّلي بواسطة الخملات الدقيقة، ثمّ تعلّق ثانٍ بواسطة الخلايا الآكلة **trophoblasts**، ثم تعلّق ثالث بواسطة الخملات المشيمية**chorionic villi**ثم تعلّق رابع يربط بين الجنين الحقيقي وبين الغشاء المشيمي بواسطة المعلاق[٤].

(١) ينظر: التفسير الكبير: (٢٠٤/٢٣) . و: إعجاز آيات القرآن في خلق الإنسان: (ص:٨٢) .

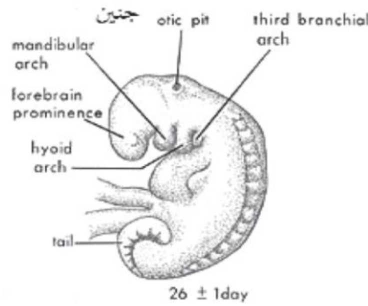
(٢) ينظر: العلم وحقائقه: (ص:٤٥٧) .

(٣) وهذه العلقة تمسك في مخاطية الرحم لتتغذى من دم الأم بشعيراتها الماصة. ينظر: معجزة القرآن العلمية: (ص: ٣٤) .

(٤) ينظر: العلم وحقائقه: (ص:٤٥٨-٤٥٩) ؛ و: خلق الإنسان بين الطب والقرآن: (ص: ٣٦٨) .

وفي قوله تعالى: ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ إشارة إلى ما أثبته العلم الحديث من تحول العلقة إلى قطعة لحم صغيرة؛ سميت بذلك؛ لأنها بقدر ما يمضغ[١]، ويحدث ذلك خلال الأسبوع الثالث إلى الأسبوع الخامس، وفيها تتشكل الخلايا شيئًا فشيئًا ويظهر الدماغ والحبل الشوكي وتظهر بدايات العينين والأذنين والرقبة، ثم براعم الذراعين والساقين وتبدأ الأجهزة الرئيسة بالتشكيل[٢].

وهناك جملة تعلقات في هذه المرحلة أحدها بواسطة معلاق يربطه بالغشاء المشيمي (الكوريون)، تعلق أولي بواسطة الخملات الدقيقة. ثم تعلق ثانٍ بواسطة الخلايا الآكلة، ثم تعلق ثالث بواسطة المخملات المشيمية، ثم تعلق رابع يربط بين الجنين الحقيقي، وبين الغشاء المشيمي بواسطة المعلاق، ولا شك أن أهم ما يميز هذه المرحلة هو هذا التعلق، وأن وصف العلقة العالقة بجدار الرحم والمحاطة بالدم المتجمد (المتخثر) هو أدق وصف لهذه المرحلة"[٣]، وهذه صورة المضغة، ومقابلها شيء ممضوغ عليه آثار أسنان= بما يدل على دقة التعبير القرآني[٤]:





(١) ينظر: تأويلات أهل السنة: (٤٥٨/٧) .
(٢) ينظر: معجزة القرآن العلمية في الإنسان: (ص: ٣٢) .
(٣) ينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن: (ص: ٣٦٨) .
(٤) ينظر: العلم وحقائقه: (ص:٤٦٥) .

وفي تعبير القرآن بـ ﴿ مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ ﴾ إشارة إلى أن المضغة تتضمن كتلتين،الأولى مخلقة، والتي تعني أعضاءالجنين التي ستجعل منه إنساناً بأعضاء كاملة، أماالكتلة الثانية فهي غير مخلّقة،أي الكتلة السفلية فهي الأغشية والمشيمة التي تكسو الجنين وتعمل على تغذيته أمه، والتي تسقط وتُزال بعد الولادة(١)، وفي تعبير القرآن بـ﴿ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ﴾ إشارة إلى مرحلةٍ تستغرق الأسبوع الخامس والسادس والسابع، وفيها تتحول الكتل البدنية إلى جزئين: جزء أمامي يسمى القطعة الهيكلية، وهي تكون عظام الفقرات،وجزء خلفي وظهري ويسمى المقطع العضلي الآدمي(٢). فبعد إحلال العظام محل الأنسجة الغضروفية، أي المضغة، يخبرنا – سبحانه وتعالى- بالطور التالي، وهو طور اكتساء العظام بالأنسجة العضلية، ومن الجدير بالذكر، بحسب علم الأجنة، فطور تكوين العضلات للجنين يسبق تكوين الهيكل العظمي، أي بعد اكتمال خلق عضلات الإنسان تنمو العظام من داخل العضلات، وبقي هذا الاعتقاد العلمي سائدًا حتى منتصف القرن العشرين عندما تحقق لعلماء الأجنة أن طور ظهور العظام للجنين يسبق طور اكتساء العظام باللحم؛ كما أخبرنا الخالق المصور بهذه الحقيقة العلمية في كتابه المجيد قبل ١٤ قرنًا، فالقرآن ليس سَباقا للعلوم فحسب؛ وإنما يصححها أيضًا(٣).

---

(١) ينظر: معجزة القرآن العلمية في الإنسان: (ص: ٣٤) ؛و: الضابط اللغوي في التفسير العلمي : (٣٣٩/١) .

(٢) ينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن: (ص: ٣٦٨) .

(٣) ينظر: معجزة القرآن العلمية في الإنسان: (ص: ٣٤) .

وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾إشارة إلى طور التصوير والتسوية والتعديل ثم النفخ في الروح؛ ففي الشهر الرابع يتميز الجنين بوضوح بشكل إنسان، فيسرع في النمو بعد ذلك، ويستمر تطور الجنين الإنسان ليُرقى في الخلق إلى خَلق آخر أسمى من خلق أي حيوان آخر يُرقى بقدرة الله الخالق المصور إلى خصائص تفرده وتميزه عن الحيوان، فينشأ كل إنسان بصفات وخصائص به ولا يتماثل اثنان من الناس في كل العصور "(١).

هذه هي مراحل تشكل الجنين بدقة في القرآن الكريم،وكلما تطور العلم التجريبي ظهر إعجاز كلام الخالق- جل وعلا-، وظهر لكل ذي لب أن القرآن الكريم لا شك في نسبته إلى الله، وأنه من المحال على تلك البيئة الساذجة البدائية التي نزل فيها القرآن أن تنتج مثل هذا الجلال المعجز والتحدي الموصول أبد الدهر.

---

(١) ينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن: (ص: ٣٧٢) ؛ و: معجزة القرآن العلمية: (ص: ٣٦-٣٧) .

المبحث الثالث: **آيات خلق الإنسان عند المستشرقين**.

قبل أن نبدأ باستعراض فهم المستشرقين لآيات خلق الإنسان في القرآن الكريم يجدر بنا أن نبرز الأجواء التي ينطلق منها المستشرقون، تلك الأجواء التي تشكل دافعًا متحيزًا بوضوحٍ لدراسات المستشرقين، فنقول:لم تهتم أسفار العهد القديم كثيرا بمراحل خلق الإنسان تفصيلًا، وقد كان السفر المنسوب لأيوب أصرح الأسفار في الحديث عن علم الأجنة -وإن باقتضابٍ-، علما أن زمن تأليفه لا يزال مجهولًا، فقد اضطرب النقاد في تحديد زمن تأليفه منذ عصر الآباء حتى القرن الثاني قبل الميلاد، بما يجعل تأثره بالموروث اليوناني الأرسطي والسابق لأرسطو محتملًا بشدة(١).

وإذا تركنا سفر أيوب لنرى كيف تعامل المستشرقون مع النصوص القرآنية التي تناولت قضايا الخلق نجد محاولة الربط بين القرآن والكتاب المقدس حاضرة دائمًا في المخيال الاستشراقي، فغالب المستشرقين لا يعلقون على آيات خلق الإنسان في القرآن الكريم؛ فعلى سبيل المثال نجد أن جورج سيل(٢) يكتفي بترجمة الآيات المتناولة قصة الخلق دون أدنى تعليق، ومثله إدوارد لين(٣)، وكذلك رودي باريت، وبالمر(٤). وغيرهم.

---

(١) ينظر: التفسير المعاصر للكتاب المقدس: دون فليمنج.(ص:٢٤٢) ؛ و: السّنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم (سفر أيوب) : وليم مارش. (ص:١٦٣) .

2)- The Koran(the alcoran of Mohammed) : George sale ,Londen ,William Tegg,1861. (p: 211- 274) .

3)-Sections from Quran :Edward William Lane, London, trubner and co ludgate hill 1879. (p: 49) .

4)-The scared book of the east, various oriental scholars pallmer ,oxford university press warehouse , 1880 .(1/ 248) .

وقد توافر حسن النية في ترجمة E.H.Palmar ، الذي تميز بعمقه في اللغتين العربية والإنجليزية، وقدرته على معرفة تأثير الألفاظ العربية في القارئ الإنجليزي ويعيبه أنه نحا المنحى العامي، وقد صدرت ترجمته في مجلدين أول مرة في أكسفورد ١٨٨٠م ثم طبعت عدة طبعات آخرها في الولايات المتحدة عام ١٩٠٩م. ينظر: الترجمة وتحريف الكلم: قراءة في ترجمات القرآن: محمد خير البقاعي: (ص ٢٦)

بينما يكتفي ريتشارد بيل بالتعليق على آيات الخلق في سورة الحجر بأنها تستند إلى قطع أقدم(١)، في حين يزعم أن آيات سورة الحج بأكملها مفككة، وتم إعادة تركيبها(٢)، أما آيات سورة المؤمنون فيقول عنها: "إنها تمت مراجعتها وإضافتها لاحقا وإضافة كلمة (من طين) لتضبط القافية (٣)، أما آية سورة غافر فهي بزعمه مكية تمت مراجعتها- يقصد تحريرها- في المدينة(٤).

أما ريجيس بلاشير فيقول عن آية سورة الحج: "هي آية فريدة في طولها، فهي تتكون من٦٩كلمة في مقابل١١كلمة في الآية الرابعة و١٣كلمة في الآية السادسة، وهذه الآية تعد تمجيدًا لعملية الخلق المتجددة من الله، وينظر للإنسان هناعلى أنه خلق من" **تراب** "كما ذكر في الكتاب المقدس (التراب يأتي من الأرض)(٥)، وتذكر مواضع قرآنية أخرى هذا الخلق من الطين أوالطين المجفف(صلصال) ويتبع ذلك وصفا للمراحل البيولوجية المختلفة للوجود البشري من تطوره في رحم الأم حتى سن النضج(أشدكم) ثم الخرف وهو(أرذل العمر)أي:الشيخوخة، وخلق الله يلاحظ أيضا في نمو النباتات بعد نزول المطر (أنزلناعليها الماء) ويشير العلماء إلى المعنى غير المؤكد للمصطلحات "مخلقة" المترجمة على أنها "متقنة"(٦).

---

1)-The Koran, Translated, with a critical re-arrangement of the Surahs, Richard Bell,Edinburgh,1939 .(1/242) .

2)-The Koran, Richard Bell,Edinburgh,1939 .(1/315) .

3)-Ibid.(1/326) .

4)-Ibid.(2/467) .

(٥) جاء في سفر التكوين (٣:١٩) على سبيل خطاب الرب لآدم : بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب، وإلى تراب تعود".

(٦) يشير إلى اختلاف المفسرين في معنى النطفة المخلقة وغير المخلقة، ولكنه كعادة المستشرقين يدعي يدعي أن سبب الخلاف هو غموض المعنى. ينظر: القرآن. نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره: ريجيس بلاشير. ويقول جبرائيل سعيد رينولدز: إن فكرة التخمين حول المعنى المقصود للقرآن لها سابقة في التراث الإسلامي نفسه في الأعمال التفسيرية الباكرة يجري الباحثون المسلمون نقاشا تتخمينية، غير =

ويلاحظ أن بلاشير يصرح بنقل القرآن الكريم من الكتاب المقدس بناء على ما أَصَّلَهُ من كون القرآن الكريم مؤلفًا من قبل النبي-ﷺ-، ثم يتناول وصف القرآن الكريم لمراحل خلق الإنسان دون تعليق على الرغم من عدم وجود هذه المراحل في الكتاب المقدس عدا طور واحد متفق عليه هو طور التراب أو الطين، وطور آخر تختلف رؤية القرآن له عن الكتاب المقدس كما سبق هو:(طور النطفة)، ولم ينس بلاشير في نهاية ترجمته أن يلمح إلى غموض لغة القرآن عبر إشارته إلى الخلاف في معنى (مخلقة وغير مخلقة) كما مر بنا جهلا منه باللغة ودلالاتها، وبطبيعة الألفاظ القرآنية ذات المعاني المتنوعة.

أما دينز ماسون فتحلق خارج السرب حين تشير إلى توافق القرآن الكريم مع الكتاب المقدس. تقول ماسون: "يتدخل الله في تكوين الجنين في بطن أمه، فعلى سبيل المثال جاء في الإنجيل: (أذكر أنك جبلتني من طين، أترجعني بعد إلى التراب؟ ألم تصبّني كاللبن وتخثرني كالجبن؟ كسوتني جلدًا ولحمًا، فنسجتني بعظام وعصب)(١)، وفي سفر المزامير: "عَلَيْكَ اسْتَنَدْتُ مِنَ الْبَطْنِ، وَأَنْتَ مُخْرِجِي مِنْ أَحْشَاءِ أُمِّي، بِكَ تَسْبِيحِي دَائِمًا"(٢)"(٣).

=

محلولة غالبًا، حول معنى العديد من الفقرات القرآنية، إنه معادة صريح ونحول مدى اختلافهم، خاتمين تحليلهم غالبًا باعتراف بسيط: اختلف أهل التأويل بتأويل ذلك، اختلف المفسرون حول المعنى ، في أمكنة أخرى يستعملون المصطلح العربي البهيج (أصح) في تقديم نظرتهم الخاصة بدونا ستبعاد نظرات الآخرين، أو إنهم يقنعون أنفسهم باللازمة (والله أعلم) . ينظر: القرآن في محيطه التاريخي: (ص:٢٩ – ٣٠) والحقيقة أن الخلاف في تحديد الدلالة الدقيقة للفظ خاصة تلك الألفاظ متعددة الدلالة محتملة المعاني، وليس عمل المفسر كما زعم الاستشراق خرصًا أو تخمينًا، بل محاولة للتعيين الدقيق المتلائم مع السياق وقرائن الأحوال ودلالات الألفاظ.

(١) سفر أيوب: (١٠ : ٩-١١) .

(٢) سفر المزامير: (٧١ : ٦) .

(٣) دونيز ماسون: الهواري غزالي. (ص:٥٧) .

ولكنها تؤكد أن للقرآن المرجعية العليا من حيث اشتراكه مع الكتاب المقدس في المصدر الإلهي، وهذا الأمر حدا بريجيس بلاشير أن ينتقد ماسون في مقاله الصادر بمجلّة أرابيكا؛ متعجباً – حسب رأيه– من خلط الكاتبة بين ما أسماه القناعة الدينية والروح العلمية الواجبة في البحث. يقول بلاشير: "تحدد الكاتبة هدفها من خلال المقدمة، حيث نجد في الصفحة التاسعة قولها: **إنَّ القرآن هو بمثابة الجامع المانع، الأمثل على الإطلاق، وبلغة عربية، من كلام الإله وهو المحفوظُ بعضه في التوراة والإنجيل؛** لذلك فهناك ما يسمح بدراسة الرسالة القرآنية من خلال ما أوحي به سابقًا؛ حتى إنه من المستحب لفهمٍ صحيحٍ للإسلام أن نبحث، ونحن نتوخى الحذر ونتوسل الاحترام، عن العناصر المشتركة بينه وبين اليهودية والمسيحية، لبيان التشابه الفكري والتعبيري، وكذلك أن نقوم بمقارنة مذهبية بين هاته الديانات الثَّلاث النابعة من مصدر سامي إبراهيمي واحد ، لكن الآنسة ماسون تنفي وقوعها في شِراك الإعجاز العلمي، وموقفها بذلك مخالف لما ينبغي أن يكون عليه موقف المؤرخ"(١).

ويلاحظ على رأي ماسون وتعقيب بلاشير ملاحظتان:

١–شنع بلاشير على ماسون بمجرد ثنائها على القرآن الكريم، وتأكيدها وحدة مصدره مع الكتب السابقة، ورماها بالوقوع فيما أسماه بلاشير شراك الإعجاز العلمي، مع أن الأولى أن تناقش الفكرة مناقشة علمية دون حجر على الآراء إلا أن ذلك يبرز مدى التعصب الاستشراقي لأفكار أعدت سلفا.

٢– تسرع المستشرقين برمي القرآن الكريم بالاقتباس دون أدنى تدبر – خاصة في هذا الموضع–؛ إذ إن العهد القديم قد حفل بالعديد من المغالطات والأخطاء العلمية عمومًا، وفي مجال خلق الإنسان خصوصًا،

(١) المرجع السابق: (ص:٥٧) .

والتي كان غالبها من الثقافة الشعبية والأفكار المنتشرة في البيئات التي وجد فيها الكتاب المقدس؛ وقدمر بنا أن القرآن يصرح بأن الإنسان مخلوق من ماء أو نطفة ذات صفة محددة، دونما تعرض لأمر حيض المرأة، بينما صرح بلاشير ومن بعده ماسون بأن القرآن يوافق الكتاب المقدس في تكون الجنين من دم الحيض(١) حيث جاء في سفر الحكمة: (وَفِي مُدَّةِ عَشَرَةِ أَشْهُرٍ صُنِعتُ مِنَ **الدَّمِ** بِزَرْعِ الرَّجُلِ، وَاللَّذَّةِ الَّتِي تُصَاحِبُ النَّوْمَ) (٢)، وجاء في سفر أيوب: (أذكر أنك جبلتني من طين، أترجعني بعد إلى التراب؟ ألم تصبّني كاللبن وتخثرني كالجبن؟ كسوتني جلدًا ولحمًا، فنسجتني بعظام وعصب)(٣).

وهذه حقيقة مقررة في جانب الكتاب المقدس أعني: أنّ الجنين يتكون فقط من مني الرجل الذي يُصب في الرحم، وليس لنطفة المرأة أي دور، وأنّ الجنين يتكوّن من كامل المنيّ الذي يقذفه الرجل، وأنّ أوّل مرحلة من مراحل تكوّن الجنين، هي تحوّل المني السائل إلى كتلة جامدة "(٤).

جاء في تفسير قوله: وتخثرني كالجبن: أي: تجلط المني أو **الدم** حتى يصبح جنينا(٥)، وقد علّق الكثير من نقاد الكتاب المقدس على هذا النص بقولهم: "إنّ المقصود أنّ مَنِيَ الرجل عندما يلتقي بدم الحيض عند

---

(١) وهذا الاعتقاد عين ما قرره الطب اليوناني القديم من أن الجنين ينشأ من دم الحيض، وقد هيمنت تلك النظرية على التراثين اليهودي والنصراني منذ زمن مبكر وحتى قرون قريبة، وقد انتصر لها اللاهوتي الشهير توما الأكويني في تفسيره لسفر أيوب، ويبدو أن التراث اليوناني والكتاب المقدس ينقلان هذه الدعوى العلمية عن عامة التراث العلمي القديم للأمم السابقة. ينظر: العلم وحقائقه: (ص:٤٤٥) .

(٢) سفر الحكمة: (٧: ٢) .

(٣) سفر أيوب: (١٠ : ٩-١١) وفي النص خطأ آخر وهو: الاعتقاد بنمو الجلد قبل اللحم، بعد تكوّنهما، ثم يُنسج الرضيع بالعظام والأعصاب، وهو خطأ في جهة الترتيب. ينظر: العلم وحقائقه (ص:٤٥١).

(٤) ينظر: العلم وحقائقه: (ص:٤٤٥) .

(٥) ينظر: التفسير الحديث للكتاب المقدس(العهد القديم- سفر أيوب) : فرنسيس أندرسن، ترجمة: إدوارد وديع، دار الثقافة، القاهرة، طبعة أولى١٩٩٠م، (ص:١٦٥) .

المرأة يحوله إلى كيان صلب متخثّر، وهو المعنى الطبي الذي كان سائدًا في البيئة التي كتب فيها هذا السفر؛ ولذلك جاء تعليق ترجمة أورشليم للكتاب المقدس على هذا النص[١]–، وقد تبنّته ترجمة الرهبانيّة اليسوعيّة العربيّة– فقالت: كان العلم الطبي القديم يتصوّر تكوّن الجنين كتجمّد دم الأم بتأثير عنصر الزرع" [٢].وهذا الاعتقاد أكده أحد كُتاب العهد الجديد بقوله في إنجيل يوحنا: "وهم الذين ولدوا لا من دم، ولا من رغبة رجل، ولا من رغبة جسد"[٣].

يقول ابن الصليبي في تفسير النص السابق: "ولما كان العماد ولادة، شاء الإنجيلي أن يميز بينه وبين الولادة من المرأة، وغايته أن يبين أن الولادة من المعمودية أشرف وأفضل من الميلاد الحقير من المرأة، فإذن المولودون من المعمودية ليسوا من دم أي من ميلاد من امرأة"[٤].

يقول البروفسور نورمان فورد القسيس الكاثوليكي والمتخصص في أخلاقيات علم الأحياء: " ليس الكتاب المقدس خبرًا علميًا عن بدايات حياة الإنسان أو عن علم الأجنّة البشري، يبدو أنّ بعض نصوص الكتاب المقدس تفترض الرؤية الأرسطيّة القديمة أنّ حياة الإنسان تنشأ عندما يجمّد دم الحيض بعد أن يختلط بالمنيّ"[٥].

ويلاحظ تأثر بعض المفسرين المسلمين واسعي الثقافة كالإمام الرازي الذي التقط هذه الفكرة وضمنها تفسيره[٦]، وقد رفض أصل النظرية القائلة

---

(١) ينظر: العلم وحقائقه: (ص:٤٤٥) .

(٢) الترجمة اليسوعيّة: (ص: ١٠٦٥)

(٣) إنجيل يوحنا: (١: ١٣) .

(٤) الدر الفريد في تفسير العهد الجديد. إنجيل متى: ماردينسيوس يعقوب ابن الصليبي، طبع عبد المسيح دولباني، د. ت.: (٢/٣٦٥) .

(٥) ينظر: : العلم وحقائقه (ص:٤٥١) نقلا عن:A Catholic ethical perspective.(P:321)

(٦) سبق النقل عن الرازي قوله: فقال: "وعندي فيه وجه آخر، وهو أن الإنسان مخلوق من المني ومن دم =

بذلك كثير من علماء الإسلام فعلى سبيل المثال يقول الإمام ابن حجر: وزعم كثير من أهل التشريح أن مني الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده وأنه إنما يتكون من دم الحيض والأحاديث تبطل ذلك[١].

على أن الفارق ظاهر بين كون الفكرة المغلوطة مذكورة كوحي في الكتاب المقدس- عند القائلين بذلك-وكونها تفسيرًا للوحي عند البعض، فالمفسرون لا يدعون القداسة لتفسيرهم، إنما يرددون دائمًا أن التفسير محاولة للكشف عن مراد القائل وفق القدرة البشرية، ولتعدد المحاولات اختلفت المعاني، ولم يقطع مفسر- أي مفسر- بكون محاولته هي مراد القائل جزمًا، أما في الكتاب المقدس فلدينا النص الذي يزعم أنه موحي من عند الله جزمًا ويقينا.

وإذا تركنا بلاشير وماسون نجد المستشرقة اليهودية (ليا شبمان)في بحثها حول ما أسمته(الجوانب الأسطورية لعملية خلق آدم في اليهودية والإسلام) تتبعت مراحل خلق الإنسان في المصادر الإسلامية ثم قالت: " إنها عملية طويلة ومتعددة المراحل يتحول خلالها الغبار إلى طين، ويتخمر الطين وتنبعث منه رائحة كريهة، ثم يجف في النهاية ويصبح طينًا صلبًا، أحيانًا تستمر كل مرحلة أربعين يومًا أو أربعين عامًا[٢]، الغرض من هذه الحكايات هو إظهار عظمة الله، الذي صنع مادة صلبة وغير قابلة للانحناء، ثم تركه أربعين عامًا حتى صار طينًا لزجًا لينًا، ثم تركه أربعين عامًا حتى صار صلصالًا كأواني الفخار، وذلك هو الطين اليابس الذي

=

دم الطمث ... وهذا الوجه عندي أقرب إلى الصواب.ينظر: التفسير الكبير: (١٢/٤٨٠) .

(١) ينظر: فتح الباري (١١/٤٨٠) .

(٢) تعني في حالة خلق آدم – عليه السلام-.

يُصدر صوتًا عند ضربه باليد، أي يُصدر صوتًا، ليُعلم أن هذا الأمر يحتاج إلى الصنع والقدرة لا إلى الطبع والحيلة، لأن الطين اليابس ليس مرنًا ولا يُشكل بسهولة"(١)، ثم تزعم أن التعبير بـ ﴿صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ ربما يكون صدى لموقف الغنوصيين(٢) السلبي تجاه الجسم والمادة- على حد تعبيرها-"(٣).

ودعوى معرفة النبي بالغنوصيين مصدرها ريتشارد بيل(٤)، وقد رد عليه المستشرق روبنسون بالتأكيد على أنه لا يوجد أي دليل قطعي على رواج للمعتقدات الغنوصية في الجزيرة العربية إبان القرن السابع الميلادي(٥).

---

1)-Mythic Aspects of the Process of Adam's Creation in Judaism and Islam : Leigh N. B. Chipman, Studia Islamica, No. 93. (2001) , published by Maisonneuve & Larose, (pp. 13) .

(٢) الغنوص أو العرفان: (gnosis) هو: العلم بأسرار الحقائق الدينية وعدم الاكتفاء بظواهرها، والبحث عن بواطنها الخفية، ويطلق على فرقة مسيحية انتشرت في القرنين الثاني والثالث الميلادي تبنت اتجاهات مخالفة للعقيدة السائدة وزعمت أن الخلاص لا يكون إلا بالحكمة التي ادعوا امتلاكها، وأن المسيح روح مرسل من قبل الله لإنقاذ البشر، ولم يصلب على الصليب. ينظر المعجم الفلسفي: (٢/ ٧٢ - ٧٣) ؛ و: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: سامي النشار(١/ ١٨٦ - ١٨٧) .

3)-Mythic Aspects of the Process of Adam's Creation. (pp. 16) .

(٤) يقول بيل: يبدو أن محمدًا كان يعرف بالفعل طوائف معادية أخذ منها فكرة صلب يسوع وهذه الأفكار نجدها عند الطوائف الأبيونية والغنوصية". ينظر:

The origins of Islam and its Christian environment :Richard bell, London.1926.(P: 154) .

5)-Christ in Islam and Christianity: the representation of Jesus in the Quran and classic Muslim commentaries: Neal Robinson, First published in U.S.A. by State University of New York Press. (P: 113 – 115) .

ودعواه تلك دليل على جهل باللغة العربية، فليس في خلق الإنسان الأول من صلصال أي دلالة على احتقار للجسد، ولكن يبدو أن الاستشراق متأثر بالفكرة الكتابية عن تكون الإنسان في بطن أمه من دم الحيض كما يظهر من قول أحد شراح الكتاب المقدس: وقد عبر الكتاب المتأخرون عن تأففهم من تكوين الإنسان من قطرة لها رائحة غير مقبولة(**pirage aboth**) وتحدثوا عن تجلط المني أو الدم حتى يصبح جنينا(١)، أما مؤلفو الموسوعة الإسلامية الاستشراقية(٢٠٠١م) فقد ركزوا ضمن مادتي (خلق- أدم) على التفريق بين مراحل خلق آدم ومراحل تشكل الإنسان جنينًا مصرحين بتأثير شروح التوراة (المشناه(٢)) على القرآن الكريم، وإن ظهر الاعتدال في مقالهم.

يقول الكاتب(**دانيال كارل باترسون**): "ويذكر القرآن مواد أخرى، إلى جانب الطين والماء، خُلِقَ منها جسم الإنسان، وهي مواد لا يمكن أن تكون قد شاركت في خلق آدم وحواء، إنه مخلوق من نفس واحدة أو من ذكر وأنثى، وخلق من نوع من الماء كما خُلقت جميع الحيوانات مع أنه لا ينبغي الخلط بين هذا الماء والماء الأصلي الذي خُلِق منه آدم، فجسم الإنسان مخلوق من نطفة، من سلالة من ماء حقير؛ وهذا يُذكرنا بالأمر المشناهي "أعلم من أين أتيت"، جواب المشناه على هذا السؤال هو: من "نُقطة نَتنة"

---

(١) ينظر: التفسير الحديث للكتاب المقدس(العهد القديم- سفر أيوب) : فرنسيس أندرسن. (ص:١٦٥) .

(٢) يشتمل التلمود على قسمين: مشنا وتتضمن التعاليم الشفهية، وجمارا وتتضمن المناقشات على المشنا، وتتكون مواد الجمارا من قسمين: الهلخة، والهاجادا. والأولى منهما خاصة بتعاليم السوك والشريعة (الفقه) . ينظر: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود : غازي السعدي: (ص:١٦) ؛: موسوعة المصطلحات الدينية عند اليهود: رشاد الشامي. (ص:٣٣)

والذي من الواضح أنه مُصمم لتعزيز التواضع في البشرية، ومع ذلك، فإن جسم الإنسان مُخلوق أيضًا من جلطة دموية[١].

ثم يفترض الكاتب تناقضًا ظاهريا لطالما وقع المستشرقون القدامى فيه ثم يجيب عليه بما يدفعه فيقول: "كيف يُمكننا التوفيق بين هذه العبارات المُتنوعة والمتناقضة ظاهريًا؟ يبدو أنه لا يوجد تناقض حقًا، فالقرآن يُؤكد أن البشر خُلقوا على مراحل، مُشيرًا بوضوح إلى عملية نمو الجنين من الحمل إلى الولادة، وهي عملية تُنسب في كل مرحلة إلى قدرة الله الخلاقة﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾(الزمر: ٦) في كل حين يتكون جسم الإنسان المادي أولًا من تراب، ثم من "قطرة"، ثم من دم متخثر، ثم من لقمة لحم غير مكتملة تتحول إلى عظام وجلد، وأخيرًا، تصبح في كل حالة، يحدث "الخلق" الموصوف من مواد موجودة مسبقًا"[٢].

بينما يشكك بعض المستشرقين المعاصرين في أن آيات القرآن الكريم المتعلقة بمراحل الخلق تتسم بالتناقض وتخلو من أي إشارة إلى الإعجاز العلمي-بزعمهم- فالآيات التي تندرج تحت الإعجاز العلمي بضوابطه وخصوصا آيات خلق الإنسان- بنظرهم-: "لا تُعتبر في الحقيقة شيئًا علميًا على وجه الخصوص، بل إن الأمر يتعلق بفكرة أن القرآن مُعجز لا يُضاهيه شيء؛ لأنه يحتوي على حقائق علمية لم يكن في إمكان البشر اكتشافها في زمن النبي محمد، والتي ستثبت بعد ذلك الأصل الإلهي للقرآن[٣].

1)- Encyclopedia of the Qurān: Jane Dammen McAuliffe, General Editor, Brill, Leiden–Boston–Köln,2001 (1 /476) .

2)- Encyclopedia of the Qurān:(1 /476) .

(٣) ينظر: مجلة الدراسات الاستشراقية: (٩٨/٨) عن الفرنسية سيلفي آن.

وحجتهم في ذلك : "أن هذا المنطق لا يصمد أمام أدنى تحليل علمي ولا أمام أي تحليل دقيق على المستوى الأدبي والفكري، فالقول بأن القرآن أبرز مراحل تطور الجنين التي أثبتها العلم الحديث فيما بعد، يلزمه أن نكون متأكدين بالفعل من حالة المعرفة العلمية والطبية في ذلك الوقت والتي بالتأكيد كانت أكثر تطورًا مما يدعي هذا النهج الدفاعي"(١).

وتزعم المستشرقة هايدي تويل: أن مراحل خلق الإنسان في القرآن ليست سوى مجموعة متنوعة من القصص المتناقضة، ويمكن ملاحظة ذلك من الوهلة الأولى، والتي أحيانًا نراها في نفس السورة، بل إنها يمكن أن تتشابه في نفس الآية، ففي القرآن ست نسخ مختلفة لخلق الإنسان في القرآن: الخلق من الدم المتخثر، وقطرة ماء في الحيوانات المنوية، والطين، والخروج من الأرض، والمزج بين الحالة الأولى والثانية، والخلق من الماء، وأخيراً الخلق من نموذج بشري كما في سفر التكوين، الأمر الذي أكدته الفرنسية سيلفيآن التي زعمت أن كتبة القرآن حاولوا تحقيق توليف بين هذه النسخ الستة المتناقضة(٢).

أما الجواب عن شبهة التناقض والتلفيق بين مراحل الخلق فقد رده المستشرقون من أهل الإنصاف كمحرري الموسوعة الإسلامية الاستشراقية(٢٠٠١م) كما سبق عرضه، ونزيد بأن القرآن الكريم نزل على قوم كانوا أحرص على أن يجدوا فيه مطعنًا، أو يعثروا على تناقض، أو شبهة تعارض، فلو ثبت عندهم أدنى تعارض، لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه(٣)، ولكن العرب القدامى الخلص علموا موافقة ألفاظه لدلالات اللغة

(١) ينظر: مجلة الدراسات الاستشراقية: (٨/٩٩) .

(٢) ينظر: مجلةالدراسات الاستشراقية: (٨/١٠٢) .

(٣) سأل رجل بعض العلماء عن قوله: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴾(البلد: ١) فأخبر أنه لا يقسم به ثم =

التي يعرفونها، ولم ينكروا على القرآن ما أنكر المستشرقون الذين جهلوا ذلك.

أما الجواب بالتفصيل فبيانه أن القرآن الكريم دقيق في التعبير عن خلق الإنسان من النطفة. قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾(الإنسان:٢)، وقال تعالى:﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾(سورة المؤمنون: ١٣)، ولم يتحدث القرآن عن الخلق من الدم المتخثر، فهذا من الأفكار الشائعة في الكتاب المقدس نقلًا عن أرسطو والثقافة اليونانية، وقد أثبت العلم خطأ هذا الظن– كما مر–.

أما الخلق من التراب والطين، فهذا خاص بأصل خلق آدم– عليه السلام– الإنسان الأول، وهو يتوافق مع ما جاء في التوراة:(**وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً**) [(١)]. يقول مؤلفو تفسير الكتاب المقدس: "خلق الله آدم تراباً من الأرض، وبالعبرية (أدمه **אדם**[(٢)]) وهو الطين أو الطمي الذي يكون على

=

أقسم به في قوله:﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾(التين: ٣) فقال أيما أحب إليك أجيبك ثم أقطعك أو أقطعك ثم أجيبك؟ فقال اقطعني، ثم أجبني فقال له: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بحضرة رجال، وبين ظهراني قوم كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا وعليه مطعنا، فلو كان هذا عندهم مناقضة، لتعلقوا به وأسرعوا بالرد عليه، ولكن القوم علموا وجهلت ولم ينكروا منه ما أنكرت. ثم قال: له إن العرب قد تدخل لا في أثناء كلامها وتلغي معناها وأنشد فيه أبياتًا. ينظر: البرهان في علوم القرآن:(٢/٤٦) .

(١) سفر التكوين: (٢: ٧) .

(٢) אדםהראשון: آدم الأول. אדם : أحمر. ينظر: قاموس سجيف: (ص: ٢٩) ؛ و: قاموس الأفعال العبرية: (ص:١) .

سطح الأرض، وهذه الكلمة هي التي أعطت للإنسان اسمه، فالكتاب في اللغة العبرية دائما يذكر آدم مسبوقًا بـ (أل) التعريف المترجمة في العربية (الإنسان) ...، وبعد ذلك أصبحت كلمة «آدم» اسمًا خاصاً له بدون أل التعريف[1]. إذن فلا تعارض إذن بين كون آدم مخلوقًا من التراب أو الطين – بالنسبة للخلق الأول ومعلوم أن التراب إذا تبلل صار طينًا = وبين كون نسل الإنسان خلق من النطفة، وهو ما صرحت به آيات القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾(المؤمنون: ١٢ – ١٤) فآدم –عليه السلام– سُل من الطين وخلقت ذريته من ماء مهين[2]، وحتى لو كان المراد البشر جميعهم على القول المرجوح فيكون بالاستتباع"[3]، فالكل مخلوقون من صلب آدم[4]، وعلى هذا فلا تعارض مع الأوجه السابقة.

ومما ينبغي التنبه له أن القرآن الكريم في مقام الحجاج مع المشركين يختار الأوفق والأنسب للمحاجة وإظهار الدلائل الداعية إلى الإيمان به، ففي مرة يذكرهم بأصل خلقتهم من الطين وفي ثانية يذكرهم بمنته عليهم بالتوالد والتكاثر وهكذا حسب ما يقتضيه المقام (السياق) .

من خلال العرض السابق تبين لنا خطأ المستشرقين في مزاعمهم حول خلق الإنسان في القرآن الكريم وموقفهم من الإعجاز العلمي في قضية الخلق، وما ذلك إلا لأنهم ينطلقون من فرضية المصدر البشري للقرآن

---

(١) ينظر: تفسير الكتاب المقدس: (١/١٤٨) .

(٢) ينظر: التفسير الكبير: (٢٣/٢٦٤) .

(٣) ينظر: المصدر السابق: (نفس الجزء والصفحة)

(٤) ويحتمل وجها آخر هو كون الكل نشأ من الأرض باعتبار كون غذائه حيوانيًا أو نباتيًا إنما يتولد منها، فيكون باعتبار الأصل، وهو مضمون كلام الإمام الرازي كما سبق نقله.

الكريم، ثم يُسقطون هذه الفرضية على الأدلة، فيعمون عما فيها من إشارات الإعجاز.

هذا ويمكن إجمال موقف المستشرقين من آيات القرآن الكريم التي تتضمن حقائق علمية أثبت العلم صدق خبرها عمومًا، وفي مجال خلق الإنسان خصوصًا= في النقاط الآتية:

-تجاهل كثير من المستشرقين الإعجاز في آيات الخلق في القرآن الكريم، ولم يروا فيها ما يستدعي التعليق فاكتفوا بترجمة الآيات دون تعليق؛ منهم: جورج سيل وريتشارد بالمر، وباريت وغيرهم.

- لاحظ بعض المستشرقين ما في الآيات من إشارات سبق القرآن إليها؛ ولكن شبهة الاقتباس والنقل من الكتاب المقدس حجبت عنهم ملاحظة الإعجاز فيها.

- لاحظ بعض المستشرقين الإعجاز في آيات الخلق، وفهموا المراد منها من خلال التراث التفسيري الغني ببيان دقائق المفردات القرآنية، ولكنهم بدلاً من مناقشة الآيات مناقشة موضوعية مقارنة بإشارات الكتاب المقدس راحوا يشغبون ويثيرون الشبه حول هذه الآيات وما فهم منها، بل ذهب بعضهم إلى التشنيع على من حاول من بعيد تقدير الإشارات العلمية القرآنية كما فعل بلاشير مع دونيز ماسون.

الخاتمة.

وبعد توفيق الله تعالى في إتمام هذا البحث، ورجاء أن يكون قد أسهم في تحقيق قدر من التدبر في إعجاز هذه القضية، كان من أهم النتائج التي هدي إليها البحث ما يأتي:

١- اشتمل القرآن الكريم على إشارات إلى حقائق يقينية في مجال العلم التجريبي، ويمكن توظيف تلك الإشارات في ميدان التفسير وفق ضوابط مقننة صونا لحرم القرآن الكريم وحياطة أن يقال في كتاب الله بغير علم يقيني.

٢- يتضمن التفسير العلمي المنضبط إعجازًا علميًا والعكس صحيح، ولا داعي للتفرقة بينهما.

٣- حوى التراث التفسيري منذ نشأته وحتى عصرنا جهودًا جبارة في خدمة كتاب الله وبيان الدلالات الدقيقة لألفاظه، وبيان وجوه الإعجاز فيها وفق مقادير العلوم الممكنة لكل مفسر، ومن أبرز من عنوا بهذا الوجه من المفسرين المتقدمين: الإمام الرازي، ومن المعاصرين: الطاهر بن عاشور.

٤- كانت دقة التعبير القرآني مجل إعجاب من المنصفين من غير المسلمين الذي لاحظوا فيها إشارات الإعجاز

٥- أكد العلم الحديث صدق كافة أخبار القرآن الكريم حول خلق الإنسان ودقة تعبيراته، ولعل العلم يكشف لنا في المستقبل بعضًا من الكنوز التي لا زالت مستورة في بحر ألفاظ القرآن الكريم الزاخر وسياقاته الهادرة.

٦- عرض القرآن الكريم لقضية الخلق في مواضع عدة وسياقات خادمة لقضية التوحيد حجاجًا للمخالف، وتثبيتًا للمؤمن، وتذكيرًا للمعرض.

٧- تجاهل كثير من المستشرقين الإعجاز في آيات الخلق في القرآن الكريم، ولم يفهموا منها ما يستدعي التعليق خاصة أولئك الذين عنوا بترجمة القرآن الكريم، ولعل بعضهم فعل ذلك متعمدًا كي لا يلفت أنظار سامعيه إلى تفردٍ ظاهر للقرآن الكريم عن الكتاب المقدس، وتماسك الطرح حول قضية الخلق بما ينم عن قداسة مصدره، ووثاقة نقله.

٨- حجبت تهمة الاقتباس عن بعض المستشرقين ملاحظة الإعجاز في آيات الخلق .

٩- شغب بعض المستشرقين حول الإعجاز في القرآن عمومًا وفي آيات الخلق خاصة، فأثاروا شبهًا تنم عن ضعف بضاعة بالعربية، وإهمال لسياقات الآيات، وتعصب لكتابهم المقدس.

١٠- لا زال القرآن الكريم ثريًا بإشارات الإعجاز التي تستدعي مزيدًا من الجهد من قبل المتخصصين لإماطة اللثام عنها.

التوصيات:

١- ضرورة التوسع في دراسة الآيات ذات الإشارات العلمية والكونية والتحقق من دلالاتها اللغوية قبل إلحاقها بالإعجاز العلمي.

٢- إنشاء موسوعة لما ثبت من إشارات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم مع ضوابط صارمة لما يعد من هذا القبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس أهم المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١- أبجديات البحث في العلوم الشرعية: فريد الأنصاري ، طبعة الدار البيضاء ١٩٩٧ م.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، ، دار إحياء التراث العربي – بيروت. د.ت.

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٥ مـ.

٤- إعجاز القرآن فيما تخفيه الأرحام، طبع دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥م.

٥- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ م.

٦- الاستشراق بين الحقيقة والتضليل: إسماعيل علي محمد، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط١، ١٩٩٨م.

٧- الاستشراق بين الموضوعية والافتعاليه : قاسم السامرائي ، دار الرفاعي للنشر، ط١٩٨٣،١م.

٨- الاستشراق رؤية إسلامية: أحمد عبد الحميد غراب ، طبع المنتدى الإسلامي ، ط٢، ١٤١١ هـ .

٩- الاستشراق و المستشرقون ما لهم وما عليهم: مصطفي السباعي، دار الوراق، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م.

١٠- الاستشراق والتبشير: محمد السيد، دار قباء للطباعة، د.ت .

١١- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع:محمود حمدي زقزوق، دار المعارف– القاهرة،١٩٩٧م.

١٢- الاستشراق والسنة: سعد المرصفي، مؤسسة الريان- بيروت١٩٩٠م.

١٣- الاستشراق والمُسْتَشْرِقُونَ ما لهم وما عليهم: مصطفى بن حسني السباعي، دار الوراق للنشروالتوزيع.

١٤- الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي: محمّد ياسين عريبي؛ المجلس القومي للثقافة، المغرب، ط١ ١٩٩١م.

١٥- الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام: عبد المنعم حسنين، ضمن مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ٢ - ١٩٧٧ م.

١٦- - الاستشراق وموقفه من السنة: فالح الصغير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.د.ت.

١٧- الاستشراق: إدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الإيمان- بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

١٨- الأعلام لخير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين ،الطبعة: الخامسة عشر - ٢٠٠٢ م.

١٩- البحث العلمي ومناهجه النظرية : سعد الدين صالح، طبعة جدة ١٩٩٣ م.

٢٠- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٢١- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٧ م.

٢٢- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤ هـ.

٢٣- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ، المحقق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.

٢٤- التفسير الحديث للكتاب المقدس: فرنسيس أندرسن، ترجمة: إدوارد وديع، دار الثقافة، القاهرة، طبعة أولى١٩٩٠م.

٢٥- التفسير الكبير، للإمام الرازي، طبع دار الفكر، بيروت ، ١٩٩٣، د.ت.

٢٦- التفسير المعاصر للكتاب المقدس: دون فليمنج، ترجمة: لجنة التعليم بالكنيسة الإنجليلية، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٠م.

٢٧- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، الطبعة: الأولى١٩٩٧.

٢٨- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٩٦٤ م.

٢٩- الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي، تحقيق: محمد معوض، دار إحياء التراث، بيروت – ط: ١، ١٤١٨ هـ.

٣٠- الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري، بيروت، دار إحياء التراث ، الطبعة الرابعة، ١٩٩١م.

٣١- الدر الفريد في تفسير العهد الجديد. إنجيل متى: ماردينسيوس يعقوب ابن الصليبي، طبع عبد المسيح دولباني، د. ت.

٣٢- السّنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: وليم مارش، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت ١٩٧٣م.

٣٣- السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين: أمل عبيد عوض، جامعة أم القرى، كلية الشريعة الإسلامية، عام ١٤٢٤هـ.

٣٤- العلم وحقائقه بين سلامة القرآن وأخطاء التوراة والإنجيل، سامي عامري، طبع رواسخ، ط ١، ٢٠١٩ م.

٣٥- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: محمد البهي، مكتبة وهبه، ط١٠، .د.ت.

٣٦- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥.

٣٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ.

٣٨- الكشف والبيان للثعلبي، تحقيق: محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢ م.

٣٩- المحرر الوجيز لابن عطية، تحقيق: عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ.

٤٠- المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي : إبراهيم خليل أحمد ، دار الوعي العربي ١٩٦٤م.

٤١- المستشرقون: نجيب العقيقي، دار المعارف – مصر، ١٩٦٤م.

٤٢- المعجم الفلسفي: جميل صليبا، طبع دار الكتاب اللبناني- بيروت ١٩٨٢م.

٤٣- المعجم الكبيرللطبراني ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط ٢، د. ت.

٤٤- الموافقات، للشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

٤٥- المواقف: عضد الدين الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٤٦- النكت والعيون للماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود ، دار الكتب العلمية – بيروت . د. ت.

٤٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، تحقيق: عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث ، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.

٤٨- بحر العلوم للسمرقندي، تحقيق: محمود مطرجي ، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٤٩- تأويلات أهل السنة للماتريدي، المحقق: مجدي باسلوم، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، د.ت.

٥٠- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.

٥١- تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، الناشر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط١، ١٩٤٦ م.

٥٢- تفسير جزء عمّ، محمد عبده، بيروت، دار الهلال، ١٩٨٥.

٥٣- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠ م.

٥٤- جواهر القرآن، أبو حامد الغزالي، دار إحياء علوم الدين، تحقيق، رشيد القباني، ط٢، ١٩٩٦.

٥٥- خلق الإنسان بين الطب والقرآن: محمد علي البار الناشر: الدار السعودية للنشر والتوزيع – جدة. د. ت.

٥٦- دونيز ماسون: الهواري غزالي، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠١٩م.

٥٧- روح المعاني للآلوسي، تحقيق: علي عبد الباري، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

٥٨- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٥٩- زهرة التفاسير لأبي زهرة: دار الفكر العربي. د. ت.

٦٠- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦١- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت. د.ت.

٦٢- طبائع الاستبداد ، عبد الرحمن الكواكبي، بيروت، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٦٣- قاموس الأفعال العبرية: م. ضباعي، مكتبة لبنان، ١٩٧٥ م.

٦٤- قاموس سجيف (عبري- عربي): دافيد سجيف، دار شوكن للنشر، ط ١، ٢٠٠٨ م.

٦٥- محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، المحقق: محمد باسل عيون السود. د.ت.

٦٦- معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث ، بيروت، ط١ ، ١٤٢٠ هـ.

٦٧- معجزة القرآن العلمية مقابلة مع التوراة والإنجيل: عبد الوهاب الراوي، دار العلوم للنشر، مصر، ط ١، ٢٠٠٨ م.

٦٨- مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط٣. د. ت.

٦٩- موسوعة المستشرقين: عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين – بيروت، ط٣، ١٩٩٣ م

٧٠- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: سامي النشار، دار المعارف، ط ٨. د.ت.

٧١- لسان العرب: جمال الدين ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط٣: ١٤١٤ هـ.

المراجع الإنجليزية:

−The Koran(the alcoran of Mohammed): George sale ,Londen ,William Tegg,1861 .

−Sections from Quran :Edward William Lane, London, trubner and co ludgate hill 1879 .

−The scared book of the east, various oriental scholars pallmer ,oxford university press warehouse , 1880.

−The Koran, Translated, with a critical re-arrangement of the Surahs, Richard Bell,Edinburgh,1939.

−The Koran, , Richard Bell,Edinburgh,1939.

- Mythic Aspects of the Process of Adam's Creation in Judaism and Islam : Leigh N. B. Chipman, Studia Islamica, No. 93. (2001), published by Maisonneuve & Larose.

- The origins of Islam and its Christian environment :Richard bell, London.1926.

−)Christ in Islam and Christianity: the representation of Jesus in the Quran and classic Muslim commentaries: Neal Robinson, First published in U.S.A. by State University of New York Press .

- Encyclopedia of the Qurān: Jane Dammen McAuliffe, General Editor, Brill, Leiden–Boston–Köln,2001

Romanized References Index

- ***Al-Qurʾān Al-Karīm.***

1. The Fundamentals of Research in Islamic Sciences: Farid al-Ansari, Casablanca Edition, 1997.
2. Guiding the Sound Mind to the Merits of the Noble Book: Abu al-Saud, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, n.d.
3. Lights of Explanation in Clarifying the Qur'an with the Qur'an: Muhammad al-Amin al-Shinqiti, Dar al-Fikr for Printing, Beirut, 1995.

4. The Miraculous Nature of the Qur'an in What the Wombs Conceal, Dar al-Ma'rifah, Beirut, 2005.
5. Al-Itqan fi Ulum al-Qur'an by al-Suyuti, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Egyptian General Book Organization, 1974.
6. Orientalism Between Truth and Misrepresentation: Ismail Ali Muhammad, copyright reserved, 1st edition, 1998.
7. Orientalism Between Objectivity and Fabrication: Qasim al-Samarrai, Dar al-Rifa'i for Publishing, 1st edition, 1983.
8. Orientalism: An Islamic Perspective: Ahmad Abd al-Hamid Gharab, published by the Islamic Forum, 2nd edition, 1411 AH.
9. Orientalism and Orientalists: Their Merits and Demerits: Mustafa al-Siba'i, Dar al-Warraq, 1st edition, 2018 CE.
10. Orientalism and Proselytizing: Muhammad al-Sayyid, Quba' Printing House, n.d.
11. Orientalism and the Intellectual Background of the Conflict: Mahmoud Hamdi Zaqzouq, Dar al-Ma'arif, Cairo, 1997 CE.
12. Orientalism and the Sunnah: Sa'd al-Marsafi, al-Rayyan Foundation, Beirut, 1990 CE.
13. Orientalism and Orientalists: Their Merits and Demerits: Mustafa ibn Husni al-Siba'i, Dar al-Warraq for Publishing and Distribution.
14. Orientalism and the Westernization of the Arab Historical Mind: Muhammad Yasin Uraybi, National Council for Culture, Morocco, 1st edition, 1991 CE. 15. Orientalism and its Efforts and Objectives in Combating Islam: Abdul-Mun'im Hassanein, in the Journal of the Islamic University, Issue 2, 1977.
16. Orientalism and its Stance on the Sunnah: Falih al-Saghir, King Fahd Complex for Printing the Holy Qur'an, Madinah, n.d.
17. Orientalism: Edward Said, translated by Kamal Abu Deeb, Al-Iman Foundation, Beirut, 1st edition, 1998.
18. Al-A'lam by Khair al-Din al-Zarkali, published by Dar al-'Ilm lil-Malayin, 15th edition, 2002.
19. Scientific Research and its Theoretical Methods: Sa'd al-Din Salih, Jeddah edition, 1993.

20. Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir by Abu Hayyan, edited by Sidqi Muhammad Jamil, published by Dar al-Fikr, Beirut, 1420 AH.
21. Al-Burhan fi Ulum al-Qur'an, by Badr al-Din al-Zarkashi, edited by Muhammad Abu al-Fadl, Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyya, 1st edition, 1957 CE.
22. Al-Tahrir wa al-Tanwir, by al-Tahir ibn Ashur, Tunisian Publishing House, Tunis, 1984 CE.
23. Al-Tashil li-Ulum al-Tanzil by Ibn Juzayy al-Kalbi, edited by Abdullah al-Khalidi, Dar al-Arqam Company, Beirut, 1st edition, 1416 AH.
24. The Modern Interpretation of the Bible, by Francis Anderson, translated by Edward Wadi', Dar al-Thaqafa, Cairo, 1st edition, 1990 CE.
25. Al-Tafsir al-Kabir (The Great Commentary), by Imam al-Razi, Dar al-Fikr, Beirut, 1993, n.d.
26. The Contemporary Interpretation of the Bible, by Don Fleming, translated by the Evangelical Church Education Committee, Dar al-Thaqafa, Cairo, 1990 CE.
27- Al-Tafsir al-Wasit lil-Qur'an al-Karim (The Intermediate Commentary on the Noble Qur'an): Muhammad Sayyid Tantawi, Dar Nahdat Misr, Al-Fajjalah, Cairo, First Edition, 1997.
28- Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an by Al-Qurtubi, edited by Ahmad al-Bardouni and Ibrahim Atfayish, Dar al-Kutub al-Misriyyah, Cairo, Second Edition, 1964.
29- Al-Jawahir al-Hasan fi Tafsir al-Qur'an by Al-Tha'alibi, edited by Muhammad Mu'awwad, Dar Ihya' al-Turath, Beirut, First Edition, 1418 AH.
30- Al-Jawahir fi Tafsir al-Qur'an al-Karim, Tantawi Jawhari, Beirut, Dar Ihya' al-Turath, Fourth Edition, 1991.
31- Al-Durr al-Farid fi Tafsir al-'Ahd al-Jadid Mardinus Ya'qub ibn al-Salibi, printed by Abd al-Masih Dulbani, n.d.
32- Al-Sunan al-Qawim fi Tafsir Asfar al-'Ahd al-Qadim: William Marsh, published by the Council of Churches in the Near East, Beirut, 1973.

33. The Prophet's Biography in the Writings of British Orientalists: Amal Ubaid Awad Umm Al-Qura University, Faculty of Islamic Law, 1424 AH.
34. Science and its Realities: Between the Integrity of the Qur'an and the Errors of the Torah and the Gospel, Sami Amiri, Rawasekh Press, 1st Edition, 2019 CE.
35. Modern Islamic Thought and its Connection to Western Colonialism: Muhammad Al-Bahi, Wahba Library, 10th Edition, n.d.
36. Al-Qamus Al-Muhit (The Comprehensive Dictionary), Muhammad ibn Ya'qub Al-Fayruzabadi, Beirut, Dar Al-Fikr, 1995.
37. Al-Kashshaf 'an Haqa'iq Ghawamid Al-Tanzil, by Al-Zamakhshari, published by Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, 3rd Edition, 1407 AH.
38. Al-Kashf wa Al-Bayan by Al-Tha'labi, edited by Muhammad ibn Ashur, Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi, Beirut, Lebanon, 1st Edition, 2002 CE.
39- Al-Muharrar al-Wajiz by Ibn Atiyya, edited by Abd al-Salam Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, First Edition, 1422 AH.
40- Orientalists and Missionaries in the Arab and Islamic World: Ibrahim Khalil Ahmad, Dar al-Wa'i al-Arabi, 1964 CE.
41- Orientalists: Najib al-Aqiqi, Dar al-Ma'arif, Egypt, 1964 CE.
42- The Philosophical Dictionary: Jamil Saliba, published by Dar al-Kitab al-Lubnani, Beirut, 1982 CE.
43- Al-Mu'jam al-Kabir by al-Tabarani, edited by Hamdi ibn Abd al-Majid al-Salafi, published by Maktabat Ibn Taymiyya, Cairo, 2nd Edition, n.d.
44- Al-Muwafaqat by al-Shatibi, edited by Mashhur ibn Hasan, Dar Ibn Affan, First Edition, 1417 AH/1997 CE. 45. Al-Mawaqif: Adud al-Din al-Iji, edited by Abd al-Rahman Amira, Dar al-Jil, Beirut, first edition, 1997.
46. Al-Nukat wa al-Uyun by al-Mawardi, edited by al-Sayyid Ibn Abd al-Maqsud, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, n.d.

47. Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil by al-Baydawi, edited by Abd al-Rahman al-Marashli, Dar Ihya al-Turath, Beirut, first edition, 1418 AH.
48. Bahr al-Ulum by al-Samarqandi, edited by Mahmud Matarji, Dar al-Fikr, Beirut, n.d.
49. Ta'wilat Ahl al-Sunna by al-Maturidi, edited by Majdi Baslum, published by Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, first edition, n.d.
50. Tafsir al-Qur'an al-Hakim (Tafsir al-Manar) by Muhammad Rashid ibn Ali Rida, Egyptian General Book Organization, 1990.
51- Al-Maraghi's Commentary: Ahmad Mustafa al-Maraghi, published by Mustafa al-Babi al-Halabi & Sons, Egypt, 1st edition, 1946 CE.
52- Commentary on Juz' Amma: Muhammad Abduh, Beirut, Dar al-Hilal, 1985 CE.
53- Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an: Muhammad ibn Jarir al-Tabari, edited by Ahmad Shakir, Al-Risalah Foundation, 1st edition, 2000 CE.
54. Jawāhir al-Qur'ān, Abu Hamid al-Ghazālī, Dar Iḥyāʿ ʿUlūm al-Dīn, edited by Rashīd al-Qabānī, 2nd edition, 1996.
55. Khalq al-Insān bayna al-Ṭibb wa al-Qur'ān, by Muḥammad ʿAlī al-Bar, published by Dar al-Sāʿūdiyya lil-Nashr wa al-Tawzīʿ, Jeddah, n.d.
56. Denise Masson: al-Hawārī Ghazālī, al-Markaz al-Thaqafi lil-Kitāb, Casablanca, Morocco, 1st edition, 2019.
57. Ruḥ al-Maʿānī, by al-Alūsī, edited by ʿAlī ʿAbd al-Bārī, published by Dar al-Kutub al-ʿIlmiyya, Beirut, 1st edition, 1415 AH.
58. Zad al-Masir fi 'Ilm al-Tafsir, by Ibn al-Jawzi, published by al-Maktab al-Islami, Beirut, third edition, 1404 AH.
59. Zahrat al-Tafasir by Abu Zahra, Dar al-Fikr al-'Arabi, n.d.
60. Sahih al-Bukhari, edited by Muhammad Zuhair, Dar Tawq al-Najat, first edition, 1422 AH.
61. Sahih Muslim, edited by Muhammad Fu'ad 'Abd al-Baqi, Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, Beirut, n.d.

62. Taba'i' al-Istibdad (The Nature of Despotism), by 'Abd al-Rahman al-Kawakibi, Beirut, Dar al-Nafa'is, first edition, 1984 CE.
63. Dictionary of Hebrew Verbs, by M. Daba'i, Maktabat Lubnan, 1975 CE.
64. Sagiv Dictionary (Hebrew-Arabic), by David Sagiv, Dar Shoken, first edition, 2008 CE.
65. Mahasin al-Ta'wil: Muhammad Jamal al-Din ibn Muhammad Sa'id ibn Qasim, edited by Muhammad Basil 'Uyun al-Sud. n.d.
66. Ma'alim al-Tanzil fi Tafsir al-Qur'an by al-Baghawi, edited by 'Abd al-Razzaq al-Mahdi, Dar Ihya' al-Turath, Beirut, 1st edition, 1420 AH.
67. The Scientific Miracle of the Qur'an: A Comparison with the Torah and the Gospel: 'Abd al-Wahhab al-Rawi, Dar al-'Ulum, Egypt, 1st edition, 2008 CE.
68. Manahil al-'Irfan fi 'Ulum al-Qur'an by al-Zarqani, 'Isa al-Babi al-Halabi Press and Partners, 3rd edition. n.d.
69. Encyclopedia of Orientalists: 'Abd al-Rahman Badawi, Dar al-'Ilm lil-Malayin, Beirut, 3rd edition, 1993 CE.
70. The Emergence of Philosophical Thought in Islam: Sami al-Nashar, Dar al-Ma'arif, 8th edition. n.d.
71- Lisan al-Arab: Jamal al-Din Ibn Manzur, Dar Sader - Beirut, 3rd edition: 1414 AH.

فهرس الموضوعات